طاقة ورد
في فقه الورد

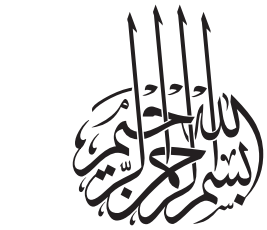

حُقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

رقم الإيداع

٢٠٢٠/٠٠٠٠٠٠٠٠م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6761-000-000

دار الأمل

صناعةُ فكر ومنارةُ وعي

Daralamal2014@gmail.com

الجـــــوال : 6 0100028216

في فقه الورد

محمد أحمد إسماعيل المقدم

الطبعة الثالثة
مزيدة ومنقحة

دار الأمل
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، الملكِ القدوسِ السلام، غافرِ الذنب وقابلِ التوب من جميع الآثام، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله محمدٍ سيد الأنام، وعلى آله وصحبه البررة الكرام، وعلى سائر من اهتدى بهديه، وعلى سبيله استقام.

أما بعد

فهذه «**طاقة**[1] **ورد**» بحثٌ يتناول فقه الوِرْد، ويذب عن مفهومه الشرعي الصحيح، ويفصل بينه وبين الأوراد المبتدعة التي كادت تحتكر لفظة «الورد»، حتى نفر منها بعض المنتسبين إلى السنة والاتباع، ولم ينتبهوا إلى أنهم أحق بها

(١) **الطاقة**: شُعبة أو حُزْمة من رَيْحان أو زَهْرٍ أو شعر أو عيدان، أو خيوط، أو نحو ذلك كما في «لسان العرب»، ولا يوجد هذا المعنى بلفظ «باقة» في معاجم اللغة، ولعلها ترجمة للكلمة الفرنسية (Bouquet).

ولكن تطلق الباقة في اللغة على حُزْمة من البقل أو ما شابهه.

والباقة: لما ليس له ساق، تقول العرب: باقة بقل، والبَقْل: كل ما تُنبته الأرض مما لا ساق له، وجمعه بُقُول.

والطاقة لما له ساق، تقول: «طاقة ورد» لأن له ساقًا، وهي اللغة الفصيحة، وأما «باقة» فهي مرفوضة عند القدماء، وأجاز مجمع اللغة العربية قولك: «باقة ورد» من باب المجاز لعَلاقة المشابهة كونها من النبت، مع تفضيل الأولى «طاقة».

وأهلها، ولهذا تضمَّن البحث بيان مفهوم «الورد الشخصي»، وضوابطه، وبراءته من الابتداع، فما فيه من صواب فهو فضل من الله وتوفيق، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وتقصيري، وأستغفر الله العظيم منه ومن سائر الذنوب والآثام، ورحم الله من نصح لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين.

محمد أحمد إسماعيل المقدم

ثغر الإسكندرية

في الخميس ٣ من شهر الله المحرم ١٤٤٠

وتم الفراغ من تنقيحه وزيادته في

السبت ١٦ من جمادى الأولى ١٤٤١هـ

الموافق ١١ من يناير ٢٠٢٠م

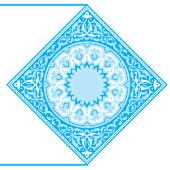

فضائل ذكر الله تعالى في القرآن المجيد

لقد رغَّب الله عَزَّوَجَلَّ في ذكره، ومدح أهله، وأثنى عليهم أبلغ الثناء وأطيبه؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ [البقرة:٢٠٠]، وأثنى على الذين ﴿يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥] أي: أكبر ممَّا سواه من الأعمال الصالحة.

وما أَصْدقَ ما قاله الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما ينطبق على فضائل الذكر والذاكرين:

«واعلم أن إيراد الآيات القرآنية على إثبات كلِّ مقصَد من هذه المقاصد لا يحتاج إليه من يقرأ القرآن العظيم؛ فإنه إذا أخذ المصحف الكريم وقف على ذلك في أيِّ موضع شاء، ومن أيِّ مكان أحبَّ، وفي أيِّ محلٍّ أراد، ووجده مشحونًا به من فاتحته إلى خاتمته»[١].

(١) «إرشاد الثقات» (ص٤).

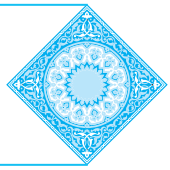

فضائل الذكر والذاكرين في السُّنَّة الشريفة

أما السنة الشريفة فقد أفاضت في بيان فضيلة الذكر والذاكرين، وذم الغفلة والغافلين، ونجتزئ بشيء منها هنا:

فعن عطاء بن يسار قال: سمِعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثلاثة لا يُردُّ دعاؤهم: الذاكر الله كثيرًا، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط**»(١).

وعن أبي الدرداء مرفوعًا: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخيرٍ لكم من إعطاء الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**»، قالوا: بلى، قال: «**ذكر الله**»(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُ البيت الذي يُذكَر الله فيه، والبيتِ الذي لا يذكر الله فيه: مثل الحَيِّ والميت**». وفي رواية: «**مَثَلُ الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه: مَثَلُ الحيِّ والميت**»(٣).

---

(١) رواه البيهقي في «الشُّعَب» رقْم (٦٩٧٣)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقْم (١٢١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢١٧٠٣)، (٢٧٥٢٥)، وقال المحققون: «إسناد صحيح»، ورواه أيضًا ابن ماجه (٣٧٩٠)، والترمذي (٣٣٧٧)، والحاكم (١/ ٤٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٩).
وقال الإمام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث مما يدلُّ على أن الثواب لا يترتب على قدر النَّصَب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها، فإذًا الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف» اهـ. من «قواعد الأحكام» (١/ ٥٠، ٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩). هذا وإطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما =

وعن الحارث بن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله أمر يحيى بنَ زكرياءَ أن يأمر بني إسرائيل بخمس كلمات، منها: ذكر الله، ونصُّه: «**وآمركم بذكر الله كثيرًا، ومَثَلُ ذلك كمَثَلِ رجلٍ طلبه العدو سِراعًا في أثره، فأتى على حِصْنٍ حصين، فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصنُ ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى**»[(١)] الحديثَ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول الله** عَزَّوَجَلَّ: **أنا مع عبدي**[(٢)] **ما ذكرني، وتحركَتْ بي شفتاه**»[(٣)].

وعن عبد الله بن بُسْر المازني قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أيُّ الناس خير؟ فقال: «**طوبى لمن طال عُمُرُه، وحسُن عملُه**». قال: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «**أن تفارق الدنيا ولسانك رَطْب من ذكر الله**»[(٤)].

=يراد به ساكنُ البيت، فشبَّه الذاكرَ بالحي الذي ظاهره متزيِّنٌ بنور الحياة، وباطنه بنور المعرفة، وغيرَ الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل، وباطنه باطل.

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٠٢)، والترمذي رقما (٢٨٦٧) ، (٢٨٦٨)، وصححه، وكذا صححه ابن خزيمة، وابن حبان ، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

(٢) قال ابن بطال: معنى الحديث: أنا مع عبدي زمانَ ذكره لي، أي: أنا معه بالحفظ والكِلاءة، لا أنه سبحانه معه بذاته حيث حلَّ العبد. «شرح السنة» (ج٥/ هامش ص١٤).

(٣) رواه البخاري تعليقًا (١٣/ ٤١٧)، ورواه مسندًا: الإمام أحمد (٢/ ٥٤٠)، وابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان (٢٣١٦)، والحاكم (١/ ٤٩٦). وصححه. ووافقه الذهبي، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٣) رقْم (١٢٤٢)، وقال محققه: «حديث حسن صحيح».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٨٨، ١٩٠)، والترمذي (٢٣٣٠)، (٣٣٧٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٦)، وقال محققه: «إسناده صحيح».

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلِّها، فأخبرني بشيء أتشبثُ به، ولا تُكثر عليَّ فأَنْسى -وفي رواية: إن شرائع الإسلام قد كثرت، وأنا قد كَبِرْتُ، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تكثر عليَّ فأنسى- قال: «**لا يزال لسانُك رَطْبًا بذكر الله تعالى**»(١).

وعن عبد الله بن شداد أن نَفَرًا من بني عُذْرةَ ثلاثةً، أَتَوُا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلَموا. قال: فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن يَكْفِينيهِم؟**» قال طلحة: «أنا»، قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعثًا، فخرج فيه أحدُهم، فاستُشهِد، قال: ثم بعَثَ بعثًا، فخرج فيهم آخَرُ، فاستُشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه. قال طلحة: «فرأيت الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامَهم، ورأيت الذي استُشهد أخيرًا يليه، ورأيت الذي استُشهد أوَّلَهم آخِرَهم»، قال: «فدخلني من ذلك»، قال: «فأتيت النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكرت ذلك له»، قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**وما أنكرتَ من ذلك؟ ليس أَحَدٌ أفضلَ عند الله من مؤمن يُعَمَّرُ في الإسلام لتسبيحه، وتكبيره، وتهليله**»(٢).

ورُوي عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما عَمِلَ آدميٌّ قطُّ عملًا أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله تعالى**»(٣).

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، والحاكم (١/ ٤٩٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ١٦٣)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٦٥٤).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٢٠٧٩)، وقال المحققون: «إسناده ضعيف؛ لانقطاعه».

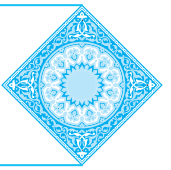

فضائل حِلَق الذِّكر[١]

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**مَن ذكرني في نفْسِه ذكرتُه في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم**»[٢].

- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا مررتم برياض الجنة فارْتَعُوا**»، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «**حِلَق الذكر**»[٣].

وعن أبي سعيد الخُـدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرج معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على حلْقة في المسجد، فقال: ما أجلسَكم؟ قالوا: جلسنا نذكرُ اللهَ تعالى. قال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: واللهِ ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أَمَا إني لم أَستحْلِفْكم تُهمَةً لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقلَّ عنه حديثًا منِّي،

(١) **حِلَق الذكر**: هي اجتماع على ذكر الله، وطلب العلم ومذاكرته، وتلاوة القرآن الكريم ودراسته، ودراسة أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتفقه في الدين، مع تسبيح وتهليل، وثناءٍ وحمدلة، وتكبير وحولقة، وصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو تفسير الأحاديث في ضوء واقع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتابعيهم بإحسان، أما ما يفعله الصوفية من اجتماع على الذكر بأصوات جماعية؛ وهيئة خاصة فلا أصل له.

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٢٥٢٣)، والترمذي (٣٥١٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وقال محققو «المسند»: «إسناده ضعيف».

وإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج على حلقة مِن أصحابه فقال: «**ما أجلسَكم؟**»، قالوا: جلسنا نذكرُ اللهَ تعالى ونحمدُه على ما هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا. قال: «**آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟**»، قالوا: واللهِ ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «**أما إني لم أستحْلِفْكم تُهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عَزَّوَجَلَّ يُباهي بكم الملائكةَ**»(١).

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ للهِ ملائكةً فُضُلًا، يطوفون في الطُّرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى تنادَوْا: هلُمُّوا إلى حاجتكم، قال: فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربُّهم تعالى وهو أعلم بهم، ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يُسبِّحونك ويُكبِّرونك ويحمدونك ويمجِّدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا واللهِ ما رأوْك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوْك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تحميدًا وتمجيدًا، وأكثرَ لك تسبيحًا، قال: فيقول: ما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: فيقول: هل رأوْها؟ قال: يقولون: لا واللهِ يا ربِّ ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنَّهم رأوْها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوْها كانوا أشدَّ عليها حِرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظَمَ فيها رغبةً، قال: فيقول: فمِمَّ يتعوَّذون؟ قال: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا واللهِ يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوْها كانوا أشدَّ منها فرارًا، وأشدَّ لها مخافةً، قال: يقول: فأُشهدُكم أنِّي قد غفرتُ لهم. قال: فيقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هُمُ الجلساءُ لا يشقى بهم جليسُهم**»(٢).

(١) رواه مسلم (٢٧٠١).
(٢) رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما جلس قوم يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ**»(١).

- وعن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنهما شَهِدَا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا يقعدُ قومٌ في مجلسٍ يذكرون الله فيه إلا حفَّتهم الملائكة، وغَشِيتهمُ الرَّحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم اللهُ فيمَن عندَه**»(٢).

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما جلس قومٌ مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يُصَلُّوا على نبيِّهم، إلا كان عليهم تِرة، فإن شاء عذَّبهم، وإن شاء غَفَرَ لهم**»(٣).

- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما قعد قومٌ مقعدًا لم يذكروا فيه اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ويُصلُّوا على النبي؛ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٤٥٣)، والطبراني في «الأوسط» (١٥٧٩)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢١٠)، وقال محققو «المسند»: «صحيح لغيره» (١٩/ ٤٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٩٨٤٣)، (٩٧٦٤)، والترمذي (٣٣٨٠) وقال: «حسن صحيح»، والحاكم (١/ ٤٩٦)، وصحَّحه محققو «المسند»، والألباني في «الصحيحة» (٧٤).

والتِّرة في اللغة: النقص، ومعناها هاهنا: التَّبِعة.

(٤) رواه الإمام أحمد (٩٩٦٥)، وابن حبان (٥٩١)، (٥٩٢)، وقال محققو «المسند»: «صحيح على شرط الشيخين» (١٦/ ٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٦).

- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما جَلَسَ قومٌ مجلسًا، فتفرَّقوا عن غير ذِكْرِ الله؛ إلا تفرَّقوا عن مِثْلِ جِيفَةِ حمارٍ، وكان ذلك المجلسُ حسرةً عليهم يوم القيامة**»(١).

- وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِن قومٍ جلسوا مجلسًا لم يذكروا الله فيه؛ إلَّا رأوه حسرةً يوم القيامة**»(٢).

- وعن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من قومٍ اجتمعوا في مجلس، فتفرَّقوا ولم يذكروا الله؛ إلا كان ذلك المجلسُ حسرةً عليهم يوم القيامة**»(٣).

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما جلس قومٌ مجلسًا فلم يذكروا الله، إلا كان عليهم تِرَةً، وما من رجلٍ مَشى طريقًا، فلم يذكر الله إلا كان عليه تِرَةً، وما مِن رجل أَوَى إلى فِراشِه، فلم يذكر الله، إلا كان عليه تِرَةً**»(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٠٨٢٥)، وقال المحققون: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٢) رواه الإمام أحمد (٧٠٩٣)، وصحَّحه المحققون (١١/ ٦٦٣)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٨٠).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٢/ ٧١) برقم (٥٣٠)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٥٧).

(٤) رواه الإمام أحمد (٩٥٨٣)، والنسائي في «العمل» (٤٠٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٩٢٧)، وقال محققو «المسند»: «حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف» (١٥/ ٣٥٧).

مَن الذين يستحقون وصف ﴿ٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾؟

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]، قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾: «إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذر، غيرَ الذكر؛ فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه، إلا مغلوبًا على عقله؛ فقال: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، فإذا فعلتم ذلك صلَّى عليكم هو وملائكتُه»[(١)].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويُكثِروا من ذلك على ما أنعم به عليهم، وجعل تعالى ذلك دون حَدٍّ؛ لسهولته على العبد، ولعِظَمِ الأجرِ فيه»[(٢)].

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ١٩٧).

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سبق المُفَرِّدون**[(١)]»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»[(٢)].

- وعن أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا -أو: صلَّى- ركعتين جميعًا، كُتِبا في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**»[(٣)].

وقد اختُلِف فيمَن يستحقون هذا الوصف:

فقال الإمام أبو الحسن الواحديُّ: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «المراد: يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغُدُوًّا وعشيًّا، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى».

وقال مجاهد: «لا يكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا». وقال عطاء: «من صلَّى الصلواتِ الخمسَ بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾»[(٤)].

---

(١) **المُفَرِّدون**: قال القُتَيْبي: الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه، وبقوا وهم يذكرون الله. قال ابن الأعرابي: فَرَّد الرجل: إذا تفقه، واعتزل الناس، وخلا بمراعاة الأمر والنهي.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٦)، وقوله: «**والذاكرات**» تقديره: «والذاكراته»، فحُذفت الهاء هنا، كما في القرآن الكريم؛ لمناسبة رؤوس الآي، ولأنه مفعول يجوز حذفه.

(٣) رواه أبو داود (١٣٠٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٦)، وابن ماجه (١٣٣٥)، والحاكم (٢/ ٤١٦)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه النووي، والعراقي.

(٤) ووجه قول عطاء: أن أفضل الذكر ما يكون في الصلاة؛ لأن فيها ألوانَ العبودية الشاملة للقلب والعقل والبدن واللسان. =

وقيل: «الذكر الكثير: ما جرى على الإخلاص من القلب، والقليل: ما يقع على حكم النفاق؛ كالذكر باللسان»[(١)].

وسُئل الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال: «إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلًا نهارًا -وهي مُبَيَّنَةٌ في عمل اليوم والليلة- كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، والله أعلم». اهـ.

وبنحوه قال الإمام محمد الجَزَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العدة»، وقال شارحه: «لا شك أن صدق هذا الوصف -أعني: كونه من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات- على

= **فلِلِّسان**: الشهادتان، والتكبير، والتعوذ، والبسملة، وتلاوة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والحولقة، والاستغفار، والأدعية.

وللجوارح: قيام، وركوع، وسجود، واعتدال، وخفض، ورفع، وقعود.

وللعقل: تفكُّر، وتدبر، وتفهم، وتفقه.

وللقلب: خشوع، ورقة، وخوف، وطمع، والْتذاذ، وضراعة، وبكاء.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كانت الصلاة مشتملةً على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه؛ كانت أفضل من كلٍّ من القراءة والذكر والدعاء بمفرده؛ لجمعها ذلك كلِّه مع عبودية سائر الأعضاء» اهـ. من «الوابل الصيِّب» (ص١٦٦).

ومن أجْل هذا كُلِّف العبد أن تستحوذ الصلاة على كل كِيانه، ظاهرًا وباطنًا، وتستغرقَ قلبه ولسانه وجوارحه؛ قال تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

- وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن في الصلاة لَشُغلًا**» [متفق عليه].

فحرم على المصلي الأكل، والشرب، والالتفات، والحركة، بخلاف ما عدا الصلاة من العبادات التي تُفرض على بعض الجوارح دون بعض؛ فللصائم أن يتكلم ويتحرك، وللمجاهد أن يلتفت ويتكلم، وللحاجِّ أن يأكل ويشرب، أما الصلاة ففيها ألوان العبودية الشاملة للقلب والعقل والبدن واللسان.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٤/ ١٩٧).

من **واظب** على ذكر الله تعالى وإن كان قليلًا، أكمل من صدقه على من ذكر الله كثيرًا **من غير مواظبة**، وقد ثبت في الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كان يذكر الله على كل أحيانه)، وورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن (**أحب العمل إلى الله أدومه**)» اهـ[١].

وقال العلَّامة صديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذكار وأدعية عند الأحوال المختلفة، وفي الأوقات المتنوعة، كالنوم واليقظة والأكل والشرب واللباس ونحوها، ووردت لكل حال من هذه الأحوال، وفي كل وقت من هذه الأوقات أذكار متعددة، وكذلك أدعية فوق الواحد والاثنين، فمن أخذ بذكر أو دعاء من الأذكار والأدعية المذكورة، وأتى به في ذلك الحال والوقت، فقد صدق عليه وصف الإكثار من الذكر **إذا داوم عليه في اليوم والليلة**[٢]، ولم يخل به في ساعاته من النوم واليقظة، وأما من واظب على جميعها، وأتى بها ليلًا ونهارًا، وجعلها وظيفة دائمة فلا تسأل عنه؛ فإنه قد فاز بالقِدْحِ المُعَلَّى، وسلك الطريقة المُثلى، ولم يأتِ أحد بأفضلَ مما أتى هو به إلا من صنع مثل صنيعه أو أكثر أو زاد عليه، فعليك أن تكون من أحد هذه الأصناف، لتصدق عليك هذه الأوصاف، وإلَّا فلا تكن» اهـ[٣].

(١) «تحفة الذاكرين» (ص٤٣).
(٢) انظر: بركات المداومة على الذكر وإدمانه (ص٣٩).
(٣) «نزل الأبرار» (ص٩).

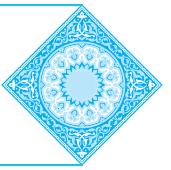

معنى الورد[١]

الوِرْد في اللغة: مكان الورود، أو زمانه، أو الماء المورود نفْسُه.

فالوِرْد: ورودُ القومِ الماءَ، وأصل الورود: قصد الماء، ثم يُستعمل في غيره.

والوِرد: الماء الذي يُورَد.

والورد: الإبل الوارِدة.

والموارد: المناهِل، واحدها: مَوْرِد، والمَوْرِدة: الطريق إلى الماء.

تقول: وَرَدَتِ الإبلُ والطيرُ هذا الماءَ وِرْدًا، وإنما سُمي النصيبُ من القرآن وِردًا من هذا.

ووَرَدَ الماءَ وَرْدًا ووُرودًا، ووَرَدَ عليه: أشرف عليه، دخله أو لم يدخله. وكلُّ من أتى مكانًا منهلًا أو غيره، فقد وَرَدَه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص:٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١].

والوِرد: النصيب من الماء.

وفي الحديث: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البَرازَ في الموارد**» الحديثَ[٢]، أي: المجاري والطرق إلى الماء، واحدها: مَوْرد، من الوُرود.

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (ص٨٦٥)، «لسان العرب» (٣/ ٤٥٦-٤٥٩)، «القاموس المحيط» (١/ ٣٥٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٣٨)، والحاكم (١/ ١٦٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في «إرواء الغليل» رقْم (٦٢).

يقال: وردْتُ الماء أرِدُه وُرودًا، إذا حضرْتَه لتشربَ.

والوِرد: الماء الذي تَرِد عليه.

قال أبو بكر -وقد أخذ بلسانه-: «هذا الذي أوردني الموارد» أراد: المواردَ المُهلِكة، واحدها مَوْرِدة.

والوِرد في عرف الشرع: ما يأتيه المسلم من نوافل العبادات، ويتعاهده طوال حياته.

قال أبو عُبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«تأويل الأوراد أنهم كانوا أحْدَثوا أنْ جعلوا القرآن أجزاء، كلُّ جزء منها فيه سُوَر مختلفة من القرآن على غير التأليف، جعلوا السورة الطويلة مع أخرى دونها في الطول، ثم يَزيدون كذلك؛ حتى يُعَدِّلوا بين الأجزاء ويُتِمُّوا الجزء، ولا يكون فيه سورةٌ منقطعة، ولكنْ تكون كلُّها سُوَرًا تامة، وكانوا يسمونها الأوراد. ويقال: لفلانٍ كلَّ ليلةٍ وِرْدٌ من القرآن يقرؤه؛ أي: مقدارٌ معلومٌ، إما سُبْعٌ أو نصف السبع أو ما أشْبه ذلك. يقال: قرأ وِرْدَه وحِزْبَه بمعنًى واحدٍ. والوِرْد: الجزء من الليل يكون على الرجل يصلِّيه»[(١)].

فيطلق الورد على الجزء من الليل يكون على الرجل أن يُصلِّيَه، والنصيب من القرآن أو الذكر، يقال: «قرأت وِردي» الوظيفةَ من قراءة ونحو ذلك، والجمع: أوراد. وقد يأتي الورد بمعنى الحزب، يقال: قرأ وِردَه وحزبه بمعنًى واحدٍ[(٢)].

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٣/ ٤٥٦-٤٥٨).

(٢) وقال من فرَّق بين الورد والحزب: إن الورد يُقرأ في أوقات منتظمة؛ كأوراد الليل وأوراد النهار. أما الحزب فليس لقراءته وقت مخصوص. =

قال المعتمر بن سليمان: ذهبت ألقِّن أبي عند الموت، فأومأ إليَّ بيده: «دَعْني؛ فإني في وِردي الرابع»، فسمى الحزبَ من أحزاب القرآن لوقتٍ ما وِرْدًا[١].

وقال أبو طالب المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الورد اسمٌ لوقتٍ من ليل أو نهار يَرِدُ على العبد متكررًا فيقطعه في قربه إلى الله، ويورد فيه محبوبًا يرد عليه في الآخرة، والقُرْبة اسم لأحد معنيين: أمر فُرِض عليه، أو فضل نُدِب إليه، فإذا فعل ذلك في وقتٍ من ليل أو نهار وداوم عليه، فهو وِرْدٌ قدَّمه يَرِدُ عليه غدًا إذا قدم. وأيسر الأوراد صلاة أربع ركعات، أو قراءةُ سورة من المثاني، أو سعيٌ في معاونة على بر أو تقوى»[٢].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أفضل الذكر تلاوةُ القرآن في الصلاة، ثم تلاوة القرآن في غير الصلاة، ثم الصوم، ثم الذكر»[٣].

= وذهب آخرون إلى أنهما مترادفان من حيث المعنى، وإن اختلف لفظهما. فكل ذكر أو دعاء بعد الفرائض يسمَّى وردًا أو حزبًا إذا كان مرتبطًا بوقت معين، وانظر: تعريف الحزب (ص٥٦).

(١) وانظر: أحوال السلف في الورد الشخصي (ص١٢٦)، وما بعدها.

(٢) «قوت القلوب» (١/ ١٦٨).

(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٦٧).

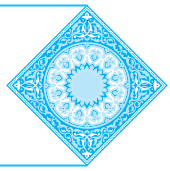

الحيـــاة أوراد

قال الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها، فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا، فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلًا، والشطر الآخر إلى العبادات، رجح جانب الميل إلى الدنيا؛ لموافقتها الطبع، إذ يكون الوقت متساويًا، فأنَّى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجِّح؟ إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا، ويصفو في طلبها القلب ويتجرد، وأما الرد إلى العبادات فمتكلف، ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات، فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة، ومن أراد أن تترجح كفة حسناته، وتثقل موازين خيراته، فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته» اهـ[1].

ثم شرع يدلِّلُ لِما قاله «بخِطاب الله تعالى لأقرب عباده إليه، وأرفعهم درجةً لديه: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل:٧-٨]، وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾ [الإنسان:٢٥-٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ

(١) «الإحياء» (٤/ ٥٩٥).

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [ق:٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الطور:٤٨-٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل:٦]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه:١٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الآية [هود:١١٤]. ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم؟ فقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩]، وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات:١٧-١٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم:١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام:٥٢].

فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبةُ الأوقات وعمارتُها بالأوراد على سبيل الدوام» اهـ[(١)].

وقال الإمام ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ينبغي للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة، لكل وقت منها عملٌ يخصُّه من الأوراد، فلا يقتصر في الوِرد على ما سبق من الصلاة والصوم، بل **كل أفعال المريد**

(١) «نفسه» (٤/ ٥٩٥، ٥٩٦).

وِرد، قد كان السلف -رِضوان الله عليهم- يقولون جوابًا لمن طلب الاجتماع بأحد من إخوانه ويكون نائمًا: (هو في ورد النوم)، فالنوم وما شاكله هو من جملة الأوراد التي يتقرب بها إلى ربه عَزَّوَجَلَّ. وإذا كان كذلك؛ فيكون وقت النوم معلومًا كما أن وقت ورده بالليل يكون معلومًا، وكذلك اجتماعه بإخوانه يكون معلومًا، وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلومًا، كل ذلك وِرد من الأوراد، إذ إن أوقاته مستغرقة في طاعة ربه عَزَّوَجَلَّ[(١)] فلا يأتي إلى شيء مما أبيح له فعله أو ندب إليه إلا بنية التقرب إلى الله تعالى، وهذا هو حقيقة الورد، أعني: التقرب إلى الله تعالى، وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أو من حال يرد يكون سببًا لترك شيء من ذلك» اهـ[(٢)].

---

(١) وذلك لأن النية تحوِّل الأعمالَ العادية إلى عبادات، فإذا قصد الإنسان بالطعام والشراب التقوِّي على طاعة الله، وقصد بالقيلولة إعانته على قيام الليل، وقصد بالنكاح التعفف عن الفواحش، فإن هذه الأعمال المباحة في الأصل، تتحول بالنية إلى عبادات وأعمال صالحة يثاب عليها.

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة**».

وفي «صحيح البخاري» (٤٣٤٢) أن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سأل أبا موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: «أتفوقه تفوقًا». قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: «أنام أولَ الليل فأقوم وقد قضيتُ جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نَوْمَتي كما أحتسب قومتي».

قوله: «أتفوقه تفوقًا»: ألازم قراءته ليلًا ونهارًا شيئًا بعد شيء، وحينًا بعد حين، مأخوذ من فواق الناقة: وهو أن تُحلَب ثم تُترك ساعةً حتى تدر، ثم تحلب، هكذا دائمًا.

قوله: «وقد قضيت جزئي»: أي أنه جَزَّأ الليل أجزاء: جزءًا للنوم، وجزءًا للقيام والقراءة.

قوله: «فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»: معناه: أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب، وانظر: «فتح الباري» (٩/ ٤٧٩).

(٢) «المدخل» (٣/ ١٧٩، ١٨٠).

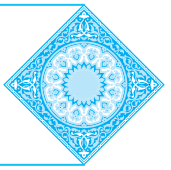

الحث على المداومة على الأوراد

ومما يدل على عظيم شأن المداومة أن خلود المؤمن في الجنة سببه أنه نوى أن يطيع الله ويدوم على ذلك إلى الأبد، فجُوزيَ بقصده بالخلود في الجنة.

أما الكافر فقد كان في الدنيا عازمًا على المداومة على الكفر أبد الآبدين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨][(١)].

إن من ثمرات المداومة على العمل الصالح: ترويضَ النفْسِ على لزوم الخيرات حتى تصير ديدَنَها، وعادتَها، وصيانتَها عن الغفلة والباطل، وقد قيل: «نفسك إن لم تشغلها بالحق؛ شغلتك بالباطل».

ولذلك تجد عند المداومين على الطاعة إقبالًا وصبرًا عليها، وحبًّا لها، وتلذذًا بها؛ كتلاوة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وإدمان النظر في المصحف الشريف، وكذا نوافل العبادات، فما بالك بحالهم في المحافظة على الفرائض الواجبات؟!

وقد قال الله تعالى في مدح الصالحين: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣]، ثم ذكر لهم صفاتٍ أخرى وختمها بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج:٣٤، ٣٥]، وقال في صفات المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:٩-١١].

(١) «مقاصد المكلفين» للدكتور عمر الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٨٧، ٨٨).

وما كان فريضة على الإنسان فإنه فُرِض على الدوام، وقد قال تعالى في الحديث القدسي: «**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه**»، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: «**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه**» الحديثَ[(١)]، فقوله: «**ولا يزال**» يعبر عن المداومة والمواظبة على الفرائض والنوافل[(٢)]، وقوله: «**حتى أحبَّه**» يعبر عن ثمرة هذه المداومة.

لقد كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يحثُّ على المداومة على الأعمال، ويفعل ذلك، ويأمر به أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولو كان العمل يسيرًا قليلًا؛ فإن العبرة باستدامة العمل، والثبات عليه.

عن علقمةَ، قال: سألت أمَّ المؤمنين عائشة، قلت: يا أم المؤمنين، كيف كان عملُ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ هل كان يَخُصُّ شيئًا من الأيام؟ قالت: «لا، كان عملُه دِيْمَةً[(٣)]، وأيكم يستطيع ما كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يستطيع؟»[(٤)].

وعنها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «... وكان نبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا صلى صلاةً أحبَّ أن يداوِمَ عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار ثِنْتَيْ عَشْرَةَ ركعةً» الحديثَ[(٥)].

---

(١) رواه البخاري رقْم (٦٥٠٢).

(٢) انظر: «فتح الباري» (١٤/ ٦٧٥، ٦٧٦) ط. دار طيبة - الرياض.

(٣) **الدِّيْمَة**: المطر الدائم في سكون، شبَّهتْ عمله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر.

(٤) رواه البخاري (٦٤٦٦)، ومسلم (٧٨٣).

(٥) قطعة من حديث رواه مسلم (٧٤٦).

وعن القاسم بن محمد، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ**»، قال: «وكانت عائشة إذا عمِلت العملَ لزمته»[(١)].

وكانت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحافظ على صلاة الضحى ثمانيَ رَكَعات، وتقول: «لو نُشِرَ لي أبوايَ ما تركتهن»[(٢)].

وسُئلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أيُّ العمل كان أحبَّ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقالت: «الدائم»[(٣)].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كان أحب العمل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يَدُومُ عليه صاحبُه»[(٤)].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سُئل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ الأعمال أَحَبُّ إلى الله؟ قال: «**أَدْوَمُها وإنْ قلَّ**»، وقال: «**اكْلَفوا**[(٥)] **مِنَ الأعمال ما تُطيقون**»[(٦)].

فبيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المداومة على عمل من أعمال البر -ولو كان مفضولًا- أحب إلى الله من عمل يكون أعظَمَ أجرًا لكن ليس فيه مداومة.

---

(١) رواه مسلم (٧٨٣)، (٢١٨).

(٢) رواه مالك في «الموطأ». ومعنى قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لو نُشر لي أبواي...» إلخ: لو أن أبويَّ خرجا من قبريهما ما تركتُ هذه الصلاة، ولا منعني فرحي بهما وبرهما من صلاتها. وانظر: «صحيح مسلم» (٧١٨)، «فتح الباري» حديث رقْم (١١٧٧)، «شرح النووي» الحديث (٧١٧-٧٢١)، «زاد المعاد» (١/ ٣٤١-٣٦٠).

(٣) رواه البخاري (٦٤٦١).

(٤) رواه البخاري (٦٤٦٢).

(٥) **اكلفوا**: بفتح اللام، يقال: كلفتُ بالشيء إذا أولعتَ به، قال المحب الطبري: «الكلف بالشيء: التولع به، فاستُعير للعمل؛ للالتزام والملابسة» اهـ «فتح الباري» (١١/ ٢٩٩).

(٦) رواه البخاري (٦٤٦٥).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما أحب الدائمَ لمعنيَيْن:

أحدِهما: أنَّ التارك للعمل بعد الدُّخول فيه كالمُعرِض بعد الوصل، فهو مُتعرِّض للذَّمِّ؛ ولهذا وَرَدَ الوعيد في حقِّ مَن حفِظ آيةً ثم نَسيها، وإن كان قبلَ حِفظِها لا يتعيَّنُ عليه.

ثانيهما: أنَّ مُداوم الخير مُلازمٌ للخدمة، فليس مَن لازمَ البابَ في كلِّ يوم وقتًا ما؛ كمَن لازمَ يومًا كاملًا ثم انقطع».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة، فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت ليجازى بالبر لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم الخدمة مثلًا ثم انقطع، وأيضًا فالعامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل، فيتعرض للذم والجفاء، ومن ثَم ورد الوعيد في حق حفظ القرآن ثم نسيه» اهـ[(١)].

ويكفي في فضيلة المداومة أن من داوم على عمل صالح ثم انقطع عنه بعذر من مرض أو سفر أو نوم كُتب له أجرُ ذلك العمل.

فعن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مرِض العبد أو سافر، كتب اللهُ له مِن الأجر مثلَ ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**»[(٢)].

وعن شداد بن أوسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمِعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يقول: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادِي مؤمنًا فحمِدني على ما ابتليتُه، فإنه**

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٩٤).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٩٦٧٩، ١٩٧٥٣)، والبخاري (٢٩٩٦)، وابن حبان (٢٩٢٩)، وقال الحافظ: «وهو في حق من كان يعمل طاعة فمُنع منها، وكانت نيته لولا المانع أن يدوم عليها».

يقومُ من مضجعِه كيومِ وَلَدَتْهُ أمُّه من الخطايا. ويقول الربُّ عَزَّوَجَلَّ: **إني أنا قيَّدتُ عبدي هذا وابتليتُه، فأجرُوا له ما كنتم تُجرُون له قبلَ ذلك وهو صحيح»**[(١)].

وعن أم المؤمنين عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«ما من امرئ تكون له صلاةٌ بليل، فيغلبه عليها نومٌ؛ إلا كُتِبَ له أجرُ صلاته، وكان نومُه عليه صدقةً»**[(٢)].

(١) رواه الإمام أحمد (١٧١١٨)، والطبراني (٧١٣٦)، وفي «الأوسط» (٤٧٠٩)، وقال محققو «المسند»: «صحيح لغيره».

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١١٧)، وأبو داود (١٣١٤)، والنسائي (٣/ ٢٥٧)، وصححه عبد القادر الأرناؤوط في «تحقيق جامع الأصول» (٦/ ٧٢).

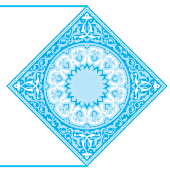

داوم على الطاعة في شبابك، يَدُمْ لك ثوابُها في مَشِيبِك

لقد قال الله في سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [التين:٤].

عن إبراهيمَ قال: «﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾، قال: في أحسن صورة، ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، قال: إلى أرذلِ العمرِ، فإذا بلغوا ذلك كُتِبَ لهم من العمل مثلُ ما كانوا يَعملون في الصحة»(١).

وعن الضَّحَّاكِ: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ قال: «إلى أرذلِ العمرِ»(٢).

وأرذل العمر هو الهَرَم بعد الشباب، والضَّعف بعد القوة، حتى يصير كالصبي في الحال الأول.

قال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ﴾ [يس:٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الحج:٥].

وأخرج ابنُ أبي حاتمٍ عن ابنِ عباسٍ: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ يقول: «إلى الكِبَرِ وضَعْفِه، فإذا كَبِر وضعُف عن العمل كُتِبَ له مثلُ أجرِ ما كان يعملُ في شَبِيبَتِه»(٣).

---

(١) «الدر المنثور» (١٥/ ٥١٤).

(٢) نفسه (١٥/ ٥١٤).

(٣) نفسه (١٥/ ٥١٥).

والاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾ [التين:٦]. منقطع[١]، وقوله تعالى: ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾ قال الضحاك: أجر بغير عمل، وقيل: غير مقطوع، وقيل: غير ممنونٍ به عليهم[٢].

روى الضحاك عن ابن عباس قال: «إذا كان العبد في شبابه كثيرَ الصلاة كثير الصيام والصدقة، ثم ضَعُف عما كان يعمل في شبابه، أجرى الله عَزَّوَجَلَّ له ما كان يعمل في شبابه».

وأخرَج ابنُ مَرْدُويَه عن أبي موسى قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إذا كان العبد على طريقةٍ من الخير فمرِض أو سافَر، كَتب الله له مِثلَ ما كان يعملُ**»، ثم قرأ: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾.

وقال ابن قُتَيْبَةَ: «﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في وقت القدرة والقوة، فإنهم حالَ الكِبَرِ غيرُ منقوصين، وإن عجزوا عن الطاعات؛ لأن الله تعالى عَلِم أنهم لو لم يسلبهم القوة لم ينقطعوا عن أفعال الخير، فهو يُجرِي لهم أجرَ ذلك».

وقال الإمام ابن جرير: «وأَوْلى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، وأَشْبَهُها بتأويل الآية: قولُ مَن قال: معناه: ثم رددناه أي: إلى أرذل العمر، إلى عُمُرِ الخَرْفَى الذين ذهبت عقولهم من الهَرَم والكِبَر، فهو في أسفل من سفل في إدبار العمر، وذَهاب العقل. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في حال صحتهم وشبابهم

(١) على القول بأن (أسفل سافلين) هو الهَرَم، وأرذل العمر. وقد رجَّح الإمام المحقق ابن القيم أن (أسفل سافلين): النار، ونصَرَه من عشرة أوجه، انظرها في «التبيان في أيمان القرآن» (ص٧٣-٧٧).

(٢) وزعم من قال هذا أن «المنة تكدِّر النعمة»، وقد شَنَّع الإمام المحقق ابن القيم على هذا القول، وأبدع في إبطاله، فانظر: «التبيان في أيمان القرآن» (ص٧٧-٨٠).

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ بعد هَرَمِهم، كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياءُ على العمل»[(١)] اهـ.

***

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى عن قطع العمل:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تكن مثل فلانٍ، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل**»[(٢)].

ولقد داوم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أوراده ولم يتركها حتى فارق الدنيا، ويدلُّ على ذلك ما روى عبد الله بن عمر قال: لم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدع هؤلاء الكلمات إذا أصبح وإذا أمسى: «**اللهم إني أسألك العافية، في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية، في ديني، ودنياي، وأهلي، ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»[(٣)].

وعن أمير المؤمنين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ أتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسأله خادمًا، فقال: «**ألا أخبركِ ما هو خير لك منه؟ تسبِّحين الله عند منامِكِ ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّرين الله أربعًا وثلاثين**» -ثم قال

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥١٦-٥٢١) ط. دار هجر.
(٢) رواه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩) (١٨٥).
(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٠)، وصححه الحاكم (١/ ٥١٧، ٥١٨)، ووافقه الذهبي، ورواه ابن حبان (٩٦١) في «صحيحه»، وصححه الألباني.

سفيان: إحداهن أربع وثلاثون-، قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فما تركتُها بعدُ». قيل: ولا ليلة صِفِّين؟ قال: «ولا ليلةَ صفين»[(١)].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أوصاني حبيبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاث لن أدَعَهُنَّ ما عِشْتُ: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاةِ الضحى، وبألَّا أنامَ حتى أُوتِرَ»[(٢)].

وعن عَمرو بن أَوْس، قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يُتَسارُّ إليه. قال: سمِعتُ أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: سمِعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَن صلَّى اثنتي عَشْرَة ركعةً في يوم وليلة؛ بُنِيَ له بهنَّ بيتٌ في الجنة**».

قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمِعتهن من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمِعتهن من أم حبيبة. وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمِعتهن من عنبسة. وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو ابن أوس[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥٣٦٢) واللفظ له، ومسلم (٢٧٢٧)، وأبو داود (٥٠٦٢).

(٢) رواه مسلم (٧٢٢)، وأبو داود (١٤٣٣).

(٣) رواه مسلم (٧٢٨)، ومعنى يُتَسارُّ به: أي يُسَرُّ به، من السرور؛ لما فيه من البشارة مع سهولته، وكان عنبسة محافظًا عليه.
وجاء تفسير هذه الركعات في حديث أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعةً بُني له بيت في الجنة: أربعًا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر**». رواه الترمذي (٤١٥)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ١٣١). وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا: «**من ثابر على اثنتي عشرة ركعةً من السُّنة بنى اللهُ له بيتًا في الجنة**» الحديثَ. رواه الترمذي (٤١٤)، وهو في «صحيح الترمذي» (١/ ١٣١).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ قال رجلٌ من القوم: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ القائلُ كلمةَ كذا وكذا؟**»، قال رجلٌ من القوم: أنا يا رسول الله، قال: «**عجِبتُ لها، فُتِحتْ لها أبوابُ السماء**»[(١)]، قال ابن عمر: فما تركتهنَّ منذُ سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول ذلك[(٢)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن كان له وِردٌ فقطعه؛ خِفتُ عليه أن يُسلب حلاوةَ العبادة»[(٣)].

وعن مسلمة بن محارب، قال: قَدِمَ عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد بن عروة، فدخل محمد بن عروة دار الدواب، فضربته دابة فخرَّ، فحُمِلَ ميتًا. ووقعت في رجل عروة الأكلة، **ولم يدع تلك الليلة وِردَه**، فقال له الوليد: اقطعها، قال: «لا»، فنزقت إلى ساقه، فقال له الوليد: اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعت بالمنشار وهو شيخ كبير فلم يمسكه أحد، وقال: «لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَبًا»[(٤)].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن الحَجَّاج بن يوسف صلَّى مرةً بجنب سعيد بن المسيِّب -وذلك قبل أن يلي شيئًا- فجعل يرفع قبل الإمام، ويقع قبله في السجود، فلما سلَّم أخذ سعيد

---

(١) وفي رواية للنسائي: «**لقد رأيت ابتدرها اثنا عشر ملَكًا**» (٢/ ١٢٥).

(٢) رواه مسلم (٦٠١)، والترمذي (٣٥٨٦)، والنسائي (٢/ ١٢٥).

(٣) «اعتقاد الإمام المنبل» للتميمي (ص٨٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٨)، ويقال: نزق الفرس: وثَبَ، وتقدَّم بخفَّة.

بطرف ردائه -**وكان له ذِكرٌ يقوله بعد الصلاة**- فما زال الحجاجُ ينازعه رداءه، حتى قضى سعيد ذِكْره، ثم أقبل عليه سعيد، فقال له: «يا سارق! يا خائن! تصلي هذه الصلاة؟! لقد هممتُ أن أضرب بهذا النعل وجهك». فلم يَرُدَّ عليه، ثم مضى الحجاج إلى الحج، ثم رجع فعاد إلى الشام، ثم جاء نائبًا على الحجاز. فلما قُتل ابن الزبير، كرَّ راجعًا إلى المدينة، نائبًا عليها، فلما دخل المسجد، إذا مجلس سعيد بن المسيب، فقصده الحجاج، فخشي الناس على سعيد منه، فجاء حتى جلس بين يديه، قال له: أنت صاحب الكلمات؟

فضرب سعيد صدره بيده، وقال: «نعم».

قال: فجزاك الله مِن معلِّمٍ ومؤدِّبٍ خيرًا، ما صليتُ بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى[(١)].

وعن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن قرأ آية الكرسيِّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبة؛ لم يَمْنَعْهُ من دخول الجنة إلا أن يموت**»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيميَّةَ -قدَّس الله رُوحه- أنه قال: ما تركتها عَقِيبَ كلِّ صلاة»[(٣)].

وكان شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ يصلي الفجر، ثم يجلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ويقول: «هذه غُدْوتي، ولو لم أتَغدَّ الغَداءَ سقطتْ قوَّتي»[(٤)].

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١١٩، ١٢٠).

(٢) رواه ابن حبان، وصحَّح إسنادَه محقِّقا «الـزاد»، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٦١): (رواه النسائي والطبراني بأسانيدَ أحدُها صحيح)، وأورده الألباني في «الصحيحة» رقْم (٩٧٢) بلفظ: «**في كل صلاة**»، وصحَّحه.

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٣٠٤).

(٤) انظر: «الوابل الصيب» (ص٧١).

والغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس، وهي الغُدْوة، والغَدَاء: طعام الغُدْوة، وكذا أكلة الظهيرة.

وقال العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرحه لـ«بلوغ المرام» في حديث: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**»: «الصواب عندي كالمقطوع به: أن غسل الجمعة واجب على كل إنسان، وما تركته منذ علمت بهذا الحديث؛ لا صيفًا ولا شتاءً، ولا حَرًّا ولا بردًا، ولا إذا كان فيَّ مرض أتحمل معه الاغتسال»[(١)].

***

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

«... وأما محافظةُ الإنسان على أوراد له من الصلاة، أو القراءة، أو الذكر، أو الدعاء طرفَي النهار وزُلَفًا من الليل، فهذا سُنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والصالحين من عباد الله قديمًا وحديثًا، فما سُنَّ عملُه على وجه الاجتماع كالمكتوبات: فُعل كذلك.

وما سُنَّ المداومة عليه على وجه الانفراد من الأوراد عُمِلَ كذلك، كما كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يجتمعون أحيانًا: يأمرون أحدَهم يقرأ والباقون يستمعون. وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: يا أبا موسى، ذكِّرْنا ربَّنا، فيقرأ وهُم يستمعون»[(٢)].

***

تنبيه يتعلق بعنصر «المداومة» في العبادات:

المداومة المحمودة هي ما وافق هَدْيَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما تخصيص الذكر بصيغة وعدد وهيئة، ودعوة الآخرين إلى الالتزام بها والمداومة عليها بمعزل

(١) «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» (١/ ٥٨٦).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥٢١).

عن هَدْي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه من أعظم أبواب الابتداع في الدين؛ لأن هذا المسلك ينطبق عليه أنه «طريقة مخترعة في الدين تضاهي الشرعية»، وينازع الشارع حقَّه الخالص في التشريع.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «التفريق بين السُّنة والبدعة في المداومة أمرٌ عظيم ينبغي التفطن له»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس كل ما يُشْرع فعلُه أحيانًا تُشْرَعُ المداومة عليه»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «المداومة على خلاف ما داوم عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العبادات بدعة باتفاق الأئمة»[(٣)].

(١) «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٣٥٨).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥١٣).
(٣) نفسه (٢٢/ ٢٢٥).

بركات المداومة على الذكر وإدمانه

الذكر النافع والمؤثر هو الذكر على الدوام مع حضور القلب، وقد يكون أوله متكلَّفًا، لكنه مع المثابرة والمكابدة لمدة طويلة يورث الأنس والمحبة ويصبح طبعًا.

وقد ترِد أذكار كثيرة في وظيفة واحدة، فمن وفِّق للعمل بها كلِّها فهي نعمة وفضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، ومن عجز عن جميعها فليقتصر من مختصراتها على قدر يداوم عليه ولو كان ذكرًا واحدًا، وفضل الأكثر أكثر، والأوسط أقصد، وهو أجدر بأن يدوم عليه.

وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها، فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرًا في القلب من كثيرها مع الفترة، ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة، ولو وقع ذلك على الحجر، ومثال الكثير المتفرق ماء يُصَبُّ دفعة واحدة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر.

والأصل في الأوراد في حق كل صنْف من الناس -عالمًا كان أو عابدًا، متعلمًا أو واليًا، تاجرًا أو محترفًا- المداومةُ[1]، فإن المراد من الذكر تغيير الصفات الباطنة،

(١) أي: المداومة على الوِرد المناسب له؛ فإن الأوراد تختلف من شخص إلى شخص؛ طبقًا لأحوال كلٍّ.

وآحاد الأعمال يقل آثارها، بل لا يُحَس بآثارها، وإنما يترتب الأثر على المجموع، فإذا لم يعقب العمل الواحد أثرًا محسوسًا ولم يُرْدَفْ بثانٍ وثالث على القرب انمحى الأثر الأول، وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس، فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير، فلو بالغ ليلة في التَّكرار، وترك شهرًا أو أسبوعًا، ثم عاد وبالغ ليلة، لم يؤثر هذا فيه، ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه.

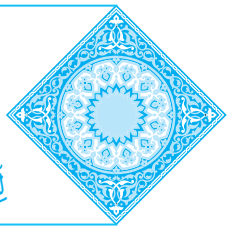

ذكر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان:٦٢][(١)]

عن الحسن البصري: أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضُّحى، فقيل له: صنعتَ اليومَ شيئًا لم تكن تصنعه؟ فقال: «إنه بقيَ عَلَيَّ من وردي شيءٌ، وأحببت أن أُتِمَّه -أو قال: أقضيه-»، وتلا هذه الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً ﴾ الآية[(٢)].

وعن شِمْر بن عطية، عن شقيق، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: فاتتني الصلاة الليلة. فقال: «أدرِك ما فاتك من ليلتك في نهارك؛ فإن الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكورًا».

وعن عبد الله بن عباس -من طريق علي- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً ﴾، يقول: «من فاته شيءٌ من الليل أن يعمله أدركه بالنهار، أو من النهار أدركه بالليل».

وعن سعيد بن جُبَير -من طريق عطاء بن دينار- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً ﴾، يقول: «جعل الليلَ خِلْفًا من النهار، والنهار خِلْفًا من الليل، لمن فرَّط في عمل أن يقضيه».

---

(١) انظر: «موسوعة التفسير بالمأثور» (١٦/ ١٥٠-١٥٣).

(٢) انظر تخريجه (ص٥٨).

وعن عِكْرِمةَ مولى ابن عباس -من طريق الحكم بن أبان- في قوله: ﴿خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، قال: «خُذ من ليلك، فإن فاتك من نهارك فمن ليلك».

وعن الحسن البصري -من طريق مَعْمَر- ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ قال: «إن لم يستطع عَمَلَ الليل عَمِله بالنهار، وإن لم يستطع عَمَلَ النهار عمِله بالليل، فهذا خِلفة لهذا».

وعن الحسن البصري -من طريق أبي الأشهب- في قوله: ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾، قال: «من عجز بالليل كان له في أول النهار مُسْتَعْتَبٌ[1]، ومن عجز بالنهار كان له في الليل مُسْتَعْتَبٌ».

وعن قَتادةَ بنِ دِعامةَ: ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾، «يختلفان، هذا أسود وهذا أبيض، وإن المؤمن قد ينسى بالليل ويذكر بالنهار، وينسى بالنهار ويذكر بالليل».

وقال مقاتل بن سليمان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾، «فجعل النهار خَلفًا من الليل لمن كانت له حاجة، وكان مشغولًا».

وعن سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَةَ -من طريق ابن أبي عمر- في قوله: ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾، قال: «إن قصَّر أحدٌ في الليل أدركه بالنهار، وإن قصَّر أحدٌ في النهار أدركه بالليل».

(١) **مُستعتب**: وقت استعتاب، أي: وقت طلب عُتْبى، كأنه أراد وقت استغفار.

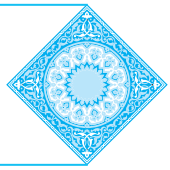

مَن تساهَلَ في قضاء وِرْدِه إذا فاتَه هان عليه تضييعُه في وقتِه

ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار، أو عَقِيب صلاة أو حالة من الأحوال[١] ففاتته أن يتداركها، ويأتيَ بها إذا تمكَّن منها ولا يهملها؛ فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرِّضها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها[٢]، فينبغي أن يتداركها حتى يصدق عليه أنه مديم للذكر مواظب عليه.

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عَمِلَ عملًا أثبته، وكان إذا نام من الليل، أو مَرِضَ صلَّى من النهار ثِنتَيْ عَشْرةَ ركعةً، قالت: وما رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام ليلة حتى الصباح، ولا صام شهرًا متتابعًا إلا رمضان.

وفي رواية: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا لم يُصلِّ من الليل مَنَعَهُ عن ذلك النومُ أو غلبتْه عيناه صلَّى من النهار ثِنتي عَشْرةَ ركعةً»[٣].

---

(١) والمراد: الأحوال المتعلقة بالأوقات، وليست المتعلقة بالأسباب كالذكر عند رؤية الهلال، وسماع الرعد، ونحو ذلك، مما لا يُندب تداركُه عند فوات سببه.

(٢) «الأذكار النبوية» (ص٩).

(٣) رواه ابن حبان (٢٦٤٢) (٦/ ٣٦٩-٣٧٢)، وقال محققه: «إسناده صحيح على شرط مسلم». وترجم له ابن حبان: «ذكر البيان بأن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا مرِض بالليل، صلَّى وِرْدَ ليلِه بالنهار».

وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقضون ما فاتهم من الأذكار التي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة[١].

فإذا نام المسلم عن حزبه المعتاد على قراءته من القرآن أو بقيَ عليه بعضُه، فقد أرشده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قضائه في اليوم التالي:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن نام عن حزبه مِن الليل، أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كُتب له كأنما قرأه بالليل**»[٢].

وفي الحديث دليل على أن قراءة الحزب في الليل أفضل من قراءته في النهار؛ لأن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُتِبَ له كأنما قرأه بالليل**» يدل على ذلك دلالةً واضحة؛ لأنه جعل الأجر مثل أجره لو قرأه بالليل، ولا يكون ذلك في مثل هذا السياق إلا إذا كان الأجر بالليل أكبر، ويمتنع أن يكون أقلَّ أو مساويًا.

وقد دلَّت الآيات والأحاديث على فضل قراءة الليل وشرفها:

فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ الآية [الإسراء:٧٩].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزمل:١-٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣].

---

(١) «تحفة الذاكرين» (ص٦٠).

(٢) انظر تخريجه (ص٥٩).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الآية [الزمر:٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات:١٧، ١٨].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للمرء أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثرَ، وفي صلاة الليل أكثر، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة، وإنما رُجِّحَت صلاةُ الليل وقراءتُه لكونها أجمعَ للقلب، وأبعدَ عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأَصْوَنَ عن الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء به الشرع من إيجاد الخيرات في الليل؛ فإن الإسراء بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ليلًا»[(١)].

وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن رجلًا استأذن على عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالهاجرة، فحجبه طويلًا، ثم أَذِنَ له، فقال: «إني كنتُ نمتُ عن حزبي، فكنت أقضيه»[(٢)].

وعن القاسم قال: كنا نأتي عائشة قبل صلاة الفجر، فأتيناها ذات يوم فإذا هي تصلي، فقالت: «نمتُ عن حزبي في هذه الليلة، فلم أكن لأدعه»[(٣)].

وعن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «مَن فاته شيءٌ من حزبه، فصلَّاه ارتفاعَ النهار؛ فكأنما صلَّاه بالليل»[(٤)].

وعن أبي سَلَمَةَ، قال: «مَن فاته جزؤه من الليل، فقضاه قبل أن تزول الشمس؛ فقد أدرك»[(٥)].

---

(١) «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص٤٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» رقم (٤٨١٥).

(٣) «نفسه» (٤٨١٧).

(٤) «نفسه» (٤٨١٦).

(٥) «نفسه» (٤٨١٨).

وعن إبراهيم النَّخَعيِّ، قال: «كان أحدهم إذا بقيَ عليه من حزبه شيءٌ فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى، وربما زاد أحدهم»[(١)].

وروى مالك في «موطئه» عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاريِّ، عن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَن فاته حزبه من الليل، فقرأه حين تزول الشمس[(٢)] إلى صلاة الظهر، فإنه لم يَفُتْه»، أو: «كأنه أدركه»[(٣)].

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله فيه: (فقرأه حين تزول الشمس إلى صلاة الظهر) وهمٌ عندي، والله أعلم... لأن المحفوظ فيه: عن عمر، من حديث ابن شهاب: (من نام عن حزبه، أو عن شيء من حزبه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كُتب له كأنما قرأه)...

قال أبو عمر: (وهذا الوقت فيه من السَّعة ما ينوب عن صلاة الليل، فيتفضل الله برحمته على من استدرك من ذلك ما فاته، وليس من زوال الشمس إلى صلاة الظهر ما يستدرِك فيه كل أحدٍ حزبه، وهذا بَيِّن، والله أعلم)» اهـ[(٤)].

وعن حُمَيد بن عبد الرحمن قال: «من فاته وِرده من الليل، فليقرأه في صلاة قبل الظهر؛ فإنها تعدل صلاة الليل»[(٥)].

---

(١) «فضائل القرآن» لأبي عبيد (٩٥).

(٢) قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشية: «صحيح سنن النسائي»: «استشكل الشيخ السندي: الصلاة عند زوال الشمس. أقول: وليس حتمًا أن (الحزب) أو (الجزء) هي صلاة، بل قد تكون تلاوة» اهـ. من «صحيح سنن النسائي» (١/ ٣٨٧)، حديث رقْم (١٦٩١).

(٣) «الموطأ» (١/ ٢٧٦) (٥٣٨)، و«صحيح سنن النسائي» رقْم (١٦٩١)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح موقوف، والحكم للمرفوع» (١/ ٣٨٧).

(٤) «التمهيد» (٨/ ١٠٧، ١٠٨).

(٥) «صحيح سنن النسائي» رقم (١٦٩٢)، وقال الألباني: «صحيح مقطوع».

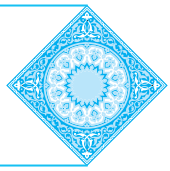

يُكْرَهُ هَجْرُ الأوراد بعد اعتيادها

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عبدَ الله، لا تكن مِثلَ فلانٍ، كان يقوم من الليل، فترك قيام الليل**»(١).

وعن سليمانَ بنِ يسار، قال: قال أبو أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نمتُ البارحة عن وِردي حتى أصبحت، فلما أصبحت استرجعت، وكان وردي سورة البقرة، فرأيتُ في المنام كأنَّ بقرةً تنطحني»(٢).

وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن، ثم اشتغل عنه بغيره، فرأى في المنام قائلًا يقول له:

إن كنت تزعم حُبي
فلِمْ جَفَوْتَ كتابي
أما تأمَّلتَ ما فيـ
ـه من لذيذ خطابي

فاستيقظ، وعاد إلى تلاوته.

---

(١) تقدَّم (ص٣٣).

(٢) «المجالسة وجواهر العلم» لأبي بكر الدِّينَوَري رقْم (٢٩٦٠).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان له وِرد فقطعه؛ خِفتُ عليه أن يُسلَبَ حلاوةَ العبادة»؛ لأنه إعراض بعد إقبال[١].

وقال أبو سليمانَ الدارانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا فاتك شيء من التطوع، فاقضِ؛ فهو أحرى ألَّا تعود إلى تركه».

وقال الإمام المحقق ابن قَيِّمِ الجَوْزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن علامات صحة القلب: ألَّا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأمَ من خدمته، ولا يأنسَ بغيره، إلا بمَن يَدُلُّه عليه، ويذكِّره به، ويذاكره بهذا الأمر. ومن علامات صحته: **أنه إذا فاته وِردُه وجد لفواته ألَمًا أعظم من تألم الحريص بفوات مالِه وفَقْدِه**»[٢].

وقال الفقيه الشافعي أحمد بن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «محافظة الإنسان على أورادٍ له من الصلاة، أو القراءة، أو الذكر، أو الدعاء طَرَفَيِ النهار وزلفًا من الليل، وغير ذلك، فهذه سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصالحين من عباد الله قديمًا وحديثًا، فما سُنَّ عمله على وجه الاجتماع كالمكتوبات؛ فُعِلَ كذلك، وما سُنَّ المداومة عليه على وجه الانفراد من الأوراد عُمِلَ كذلك، كما كان الصحابة يجتمعون أحيانًا يأمرون أحدهم يقرأ، والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب يقول: يا أبا موسى، ذكِّرنا ربَّنا، فيقرأ، وهُم يستمعون»[٣].

(١) تقدم (ص٣٥).

(٢) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (ص١٢٠) ط. دار عالم الفوائد.

(٣) «الفتاوى الفقهية الكبرى» (٢/ ٣٨٥).

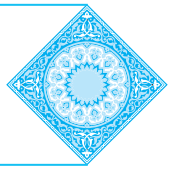

أعظم قاطع يشغلك عن الأوراد
التسكع في مواقع التواصل الاجتماعي

الناس في التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي في زماننا ينقسمون إلى ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله.

وما يعنينا هنا (الظالم لنفسه) الذي يقضي الساعاتِ الطوالَ يتتبع هذه الوسائل، ويبخل عليها بنصف ساعة ينجز فيها ورده القرآني إن كان له وِردٌ!

لقد استفحلت هذه الظاهرة واكتسحت جميع طبقات المجتمع، لم يُستثن من اكتساحها كبير ولا صغير إلا من رحم الله، ولم يسلم منها حتى طلاب العلم!

فيا ضيعة الأعمار تمضي سَبَهْلَلا

لقد وُجِّه للعلامة الفقيه الدكتور محمد المختار الشنقيطي حفظه الله السؤال التالي:

«فضيلة الشيخ، ابتُليت مثل غيري في هذه الأيام بكثرة تتبع الأخبار والأحداث، وإدمان برامج التواصل الاجتماعي، مما يؤثر على عَلاقتي بالقرآن، وله كثير من السلبيات، لدرجة أنني أدعو الله في سجودي أن يصرف الله قلبي عن هذه الملهيات، وأتركها أحيانًا ثم أعود، دلوني على الحل جزاكم الله خيرًا».

وأجابه الشيخ حفظه الله بجواب مفصَّل مؤصَّل، ثم ذكر واقعة (يتيمة) وقعت له، فقال:

«والله هذه الوسائل أمرها عجيب، جلستُ مرة من المرات على ما يسمى بتويتر، واسمه في النفس منه شيء، وفعلًا جلست بعد صلاة العشاء لأول مرة، حتى فوجئت بالسَّحَر، ذهب عليَّ وردي من الليل، مصيبة عظيمة، ما تشعر بشيء، ما تشعر، ومن يعرف هذه الأشياء يعرف هذا...»[1].

ولكي تدرك حجم هذه المشكلة:

تأمل هذا التصوير الدقيق لحال طالب علمٍ صرعته «وسائل التواصل الاجتماعي» خَطَّه يَراعُ الدكتور إبراهيم السكران حفظه الله:

«تناول كتابه الذي عزم على قراءته ضمن برنامجه العلمي، وتهيأ للمطالعة، وقبل أن ينهمك في القراءة خطر له أن يفتح هاتفه الذكي ليأخذ جولة خاطفة على آخر المستجدات، وفي خلده أنه لن يتجاوز عدة دقائق فقط، وبدأ ينقر الصفحات يسحبها تباعًا في شبكات التواصل، فرأى الناس يتحدثون عن واقعة حدثت قريبًا، فتاقت نفسه لمعرفة تفصيل موجز عنها، أخذ يبحث قليلًا، يراوح بين المواقع والمعرّفات، فلما استوعب الحدث، شدَّه التهابُ التعليقات على الحدث، واشتعلت عدة وسوم على أثرها، ثم تفاجأ أن الأمر تطور من التعليق والتعقيب، إلى الردود ونقض كل تيار لموقف الآخر، ووقع وهو في أتون الجدل على تعليقات طريفة لبعض الظرفاء، أو ردود قاصمة لبعض الأذكياء، فأخذ

(١) نقله في «الماجريات» (ص١٣، ١٤).

يصوّر بعضها بهاتفه ويرسلها لبعض الأصدقاء والمجموعات التواصلية، ثم بقي مترقبًا ردة فعل الأصدقاء، فجاءته بعض الردود، ونشأ نقاش تواصلي داخلي آخر، ثم لم يستفق إلا على صوت المؤذن يفجؤه وقد حضر وقت الصلاة الأخرى، وهو لم يغادر الصفحة الأولى من كتابه الذي كان قد عزم على قطع شوط في مطالعته...

هذه لقطة مكثفة وحزينة، مقتطعة من شريط طالب علم قدَّر الله عليه أن يعيش لحظة التكوين العلمي في عصر ثورة نظم الاتصالات وشبكات التواصل...».

إلى أن قال حفظه الله:

«والحقيقة أن الأمر أكبر مما كنت أتصور؛ فلم يَعُدْ مقصورًا على شكوى الشاب حديث العهد بطلب العلم والقراءة، بل باتت الشكوى من الخاصة من المشتغلين بالعلم والدعوة! وقد بثَّ لي بعض الأصفياء تباريحَ عن مثل هذه الشكوى تتفطَّر لها أكباد المعرفة... فبعض طلاب العلم يقول: إنه تأخر عن إنجاز رسالته الأكاديمية بسبب انهماكه في شبكات التواصل، وأنه وقع في مأزق مع القسم، ويحتاج للتأجيل والتوسلات والشفاعات. **وآخر يذكر أنه لم يستطع التوازن، فاضطر لحذف حسابه مرارًا. وآخر يذكر أنه لم يستطع كبح نفسه عن الدخول للشبكة عبر هاتفه الذكي، فاضطر لإلقائه وشراء جهاز تقليدي لا يتيح خدمة الاتصال بشبكة الإنترنت**. وآخر ذكر لي أنه بات يتصفح صامتًا ويتحاشى التعليق في شبكات التواصل حياءً من الناس أن يستشعروا غرقه في دوامة هذه الشبكات وهم يظنونه قامة علمية جادَّة»[1].

(١) «الماجريات» (ص١٢، ١٣).

لقد فرضت هذه الظاهرة نفسها، واتسع مداها، وتجذرت إلى حد أنها حفرت أسماءً حديثة في قاموس الأمراض النفسية؛ مثل:

- إدمان الإنترنت (*Internet Addiction*).
- قهر الإنترنت (*Internet compulsion*).
- اضطراب ألعاب الإنترنت (*Internet gaming disorder*).
- قهر الموبايل (التليفون الخلوي) (*Mobile or cell phone compulsion*).
- إساءة استعمال الإنترنت (*Internet Abuse*)[١].

لقد تناول علماؤنا الأقدمون والمعاصرون قضية قيمة الوقت والمحافظة عليه، ومنهم مَن حذَّر مِن الخوض في «الماجَرَيات»[٢] وبَيَّنَّ خطرَه:

فقد قال الإمام ابن الجوزي (ت:٥٩٧) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولقد شاهدتُ خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم مَن أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى الناس...، ومنهم من يُقَطِّع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين، والغلاء والرُّخْص، إلى غير ذلك،

(١) انظر: Synopsis of psychiatry (vol.2) page 614.

(٢) **الماجَريات:** هي الأحداث والوقائع والأخبار، وُلِّدت هذه اللفظة بأسلوب التركيب المَزْجِيِّ بين (ما) الموصولة بمعنى الذي، و(جرى) أي وقع وحدث، وجمعها ماجَرَيات، من جنس المصدقات والماورائيات، ونحوها.
وقد أبدع الدكتور إبراهيم السكران -حفظه الله ونفع به- كعادته حين تناول هذه القضية بإسهاب ومنهجية وعمق في كتابه الماتع «الماجريات»، فلْيتدارسْهُ كل من وقع صريعًا لوسائل «التقاطع» الاجتماعي التي عزلت الناس عن التواصل «الحقيقي» المباشر بينهم، وحرمتهم من فوائده، حتى صار كل فرد ممن يجتمعون في مكان ما بأجسادهم منعزلًا في «جزيرته» عمَّن حوله ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤].

فعلِمتُ أن الله تعالى لم يُطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا مَن وفَّقه وألهمه اغتنام ذلك، وما يُلَقَّاها إلا ذو حظ عظيم»[(١)].

وتأمل كلامه وهو يتوجَّع من حال هؤلاء:

«كان المريد في بداية الزمان إذا أظلم قلبه، قصد زيارة بعض الصالحين، فانجلى ما أظلم، واليوم متى حصلت ذرة من الصدق لمريد، وكاد همُّه يجتمع، وشتاته ينتظم، فخرج فلقيَ مَن يُومَأُ إليه بعلم أو زهد، **رأى عنده البطَّالين يجري معهم في مسلك الهذيان الذي لا ينفع، وأهون ما عليه تضييع الأوقات في «الحديث الفارغ»**، فما يرجع المريد عن ذلك الوطن إلا وقد اكتسب ظلمة في القلب، وشتاتًا في العزم، وغفلة عن ذكر الآخرة، فيعود مريض القلب، يتعب في معالجته أيامًا كثيرة»[(٢)].

أما الإمام المحقق ابن قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد تكلم عن: «**الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر هذا الخلق...، ومنها الفكر في جزئيات أحوال الناس، وماجَرَياتهم، ومداخلهم ومخارجهم، وتوابع ذلك من فكر النفوس المبطلة الفارغة من الله ورسوله والدار الآخرة**»[(٣)].

وحين تكلم عن طبقة العُبَّاد الأخفياء الذين قال فيهم رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[(٤)] قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**أهل هذه الطبقة، أثقل شيء عليهم: البحث عن ماجَرَيَات الناس، وطلب تعرُّف أحوالهم، وأثقل ما على قلوبهم سماعها، فهم مشغولون عنها بشأنهم، فإذا**

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢٤١).

(٢) «نفسه» (ص٣٦٩).

(٣) «الفوائد» (ص٢٨٨).

(٤) رواه من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مسلم (٢٩٦٥).

اشتغلوا بما لا يعنيهم منها فاتهم ما هو أعظم عنايةً لهم، وإذا عَدَّ غيرُهم الاشتغالَ بذلك وسماعَه من باب الظرْفِ والأدب وستر الأحوال؛ كان هذا من خدع النفوس وتلبيسها، فإنه **يحط الهمم العالية من أَوْجِها إلى حضيضها، وربما يعز عليه أن يحصل همة أخرى يصعد بها إلى موضعه الذي كان فيه**، فأهل الهمم والفِطَن الثاقبة لا يفتحون من آذانهم وقلوبهم طريقًا إلى ذلك، إلا ما تقاضاه الأمر، وكانت مصلحته أرجحَ، **وما عداه فبطالة، وحطٌّ مرتبة**»[(١)].

هذا ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القرن السابع أو الثامن الهجري، فكيف لو أدرك قرننا الخامسَ عَشَرَ؟!

***

لقد صُممت صفحاتٌ على الشبكة العنكبوتية تساعد الراغبين في تقويم حالتهم ليستكشفوا ويقيسوا إذا كان تعاملهم مع هذه الوسائل مَرَضيًّا، وتَعرض برامجَ تعليميةً وإرشادية للتحرر من هذا الإدمان القهري، بل توفرت تطبيقات (*Apps*) تُعِين الراغبين في التحكم في وقتهم، وتقليل اندماجهم المفرط مع هذه الوسائل.

ولا شك أن أحوج الناس إلى التحرر من هذا الإدمان: الحريصون على عمارة أوقاتهم بالأوراد، وحمايتها من أن يختلسها منهم هذا «الغول» الشبكي.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٨١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها؛ إلا ذِكرَ الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا**»[١].

ولو انتبه صريع «التواصل الاجتماعي» لسخَّره فيما يُعينه على طاعة الله، فهناك مئات المواقع التي تُيسر تحفيظ القرآن، وتفسيره، وغير ذلك مما لا يَشك في منفعته عاقلٌ.

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٣)، وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٤١١٢)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٩٧).

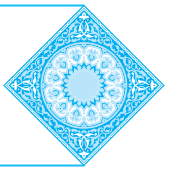

معنى الحـزب

لغــةً:

الأصل في معنى هذه المادَّة: الشيء المجموع، قال ابن فارس: «الحاء والزَّاء والباء أصلٌ واحد، وهو تجمع الشيء، فمِن ذلك: الحزب، وهو الجماعة من الناس، قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٣]، والطائفة من كل شيء: حزب، يقال: قرأ حزبه من القرآن»[(١)]، وجمع الحزب: أحزاب.

وقال ابن منظور: «**والحزب:** الوِرْدُ. ووِرْدُ الرَّجُل من القرآن والصلاة: حزبه، **والحزبُ:** ما يجعله الرَّجل على نفْسِه من قراءة وصلاة، كالوِرد. وقد حزبت تحزيبًا. والحزب: النصيب»[(٢)]، يقال: أعطني حزبي من المال؛ أي: حظِّي ونصيبي.

والحزب: النوبة في ورود الماء.

اصطلاحًا:

والحزب والتحزيب في القرآن والصلاة معنًى شرعيٌّ يعود معناه إلى أصله اللُّغوي الذي لا ينفك عن مجموع من الناسِ أو شيءٍ آخَرَ.

وأما التحزيب: فمصدر حزَّب يحزِّبُ تحزيبًا: إذا جعل الشيء أحزابًا.

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٢/ ٥٥).

(٢) «لسان العرب» مادة (حزب) (١/ ٣٠٨).

قال ابن الأثير في (النهاية): «... ومنه حديث أوس بن حذيفة: سألتُ أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف تحزبون القرآن؟»[١].

والحزب والجزء والوِرد تطلق في معناها العام في السنة وكلام السلف على شيءٍ واحد، فقد جاء في كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «**من نام عن حزبه...**»[٢]، وقوله: «**قرأتُ جزءًا من القرآن**»[٣].

وورد في كلام الصحابة استعمال الجزء، والورد أيضًا.

وفي الاصطلاح المتأخر: يطلق الجزء في القرآن على معنى خاص، وهو في القرآن قسم من ثلاثين قسمًا، والحزب نصفه كما هو معروف، فالقرآن ثلاثون جزءًا وستون حزبًا.

رُوي عن أوسِ بنِ حُذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنتُ في الوفد الذين أَتَوُا النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمُوا من ثقيفٍ من بني مالك، أَنْزَلَنا في قُبَّةٍ له، فكان يختلف إلينا بين بيوته وبين المسجد، فإذا صلَّى العشاء الآخرة انصرفَ إلينا ولا نبرح حتى يُحدِّثَنا، ويشتكي قريشًا، ويشتكي أهلَ مكة، ثم يقول: «**لا سواءَ**[٤]؛ **كنا بمكة مُسْتَذَلِّين ومُسْتَضعَفِين، فلمَّا خرجنا إلى المدينة كانت سِجَالُ**[٥] **الحرب علينا ولنا**». فمَكَثَ

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٣٧٦).

(٢) رواه مسلم (٧٤٧)، وانظر: (ص٥٩).

(٣) رواه أبو داود (١٣٩٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٢٤١).

(٤) **لا سواء:** أي الأيام غير متساوية.

(٥) جمع سَجْل، وهو الدلو المملوءة ماءً، وفيه تشبيه الحرب بالسِّجال، تكون بالنوبة؛ فتكون تارة لهذا، وتارة لذاك.

عنا ليلةً لم يأتِنا، حتى طال ذلك علينا بعد العِشاء، قال: قلنا: ما أمكثك عنَّا يا رسولَ الله؟ قال: «**طَرَأَ**[١] **عليَّ حِزبٌ من القرآن، فأردْتُ ألَّا أخرُجَ حتى أقْضِيَهُ**». قال: فسألْنا أصحابَ رسولِ الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تُحَزِّبون[٢] القرآن؟ قالوا: نُحَزِّبُهُ ثلاثَ سُوَرٍ، وخمسَ سوَر، وسَبْعَ سور، وتسع سور، وإحدى عَشْرَة سورةً، وثلاثَ عشْرةَ سورةً، وحزب المُفَصَّل من ﴿قٓ﴾ حتى يَختِمَ[٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

قال أبو داودَ الطَّيالِسِيُّ: حدثنا أبو حُرَّةَ، عن الحسن: أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى، فقيل له: صنعتَ اليوم شيئًا لم تكن تصنعُه؟ فقال: إنه بقيَ عليَّ من وردي شيءٌ، فأحببت أن أتمَّه -أو قال: أقضيَه-، وتلا هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[٤] [الفرقان:٦٢].

---

(١) يريد ﷺ أنه بدأ في حزبه، كأنه طلع عليه، من قولك: طرأ فلان إلى بلد كذا وكذا، فهو طارئ إليه، أي: أنه طلع إليه حديثًا، وهو غير ثانئ به؛ وقد حَزَّبتُ القرآن. وانظر: «لسان العرب» (١/ ٣٠٨).
وقيل: يريد أنه أغفله عن وقته، ثم ذكره فقرأه.
والحِزب: ما يجعله على القسمة من قراءة أو صلاة، كالوِرد.

(٢) **تحزبون**: من التحزيب، وهو تجزئة القرآن، واتخاذ كل جزء حزبًا له، والحزب هو ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة.

(٣) رواه الإمام أحمد رقْم (١٦١٦٦)، وأبو داود (١٣٩٣)، وابن ماجه (١٣٤٥)، وغيرهم، وقال محققو «المسند»: «إسناده ضعيف» (٢٦/ ٨٩). وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (رقم٢٩٧). والحديث يدل على أن ترتيب القرآن على النمط المعلوم الآن كان مشهورًا في عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. قاله في «عون المعبود» (٤/ ١٩٠).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٣٣). وقد رواه أيضًا عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٥١) (٤٧٤٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٨)، وإسناده منقطع؛ لأن الحسن لم يدرك عمر، ولم يسمع منه؛ فإنه وُلِدَ لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ونشأ بوادي القرى.

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نام عن حِزْبِه، أو عن شيءٍ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاةِ الظهر، كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل**»(١).

فالحزب هنا حصة معينة من القرآن الكريم يتلوها المرء احتسابًا، ونلاحظ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآنف الذكر أضاف الحزب إلى الشخص «**حزبه**»، وأطلق ذلك ولم يقيده بقدر، ويُفهم من هذا أن تحديد مقدار (الحزب) أمر شخصي يخضع لظروف كل شخص على حدة، وقد اختلفت مسالك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في المقدار اليومي الذي يقرؤونه من القرآن الكريم، وتفاوتت أحزابهم في هذا، وإن كان قد رُوي عنهم أنهم كانوا يختمونه في سبعة أيام كما تقدَّم.

ومما يدلُّ على مشروعية تحزيب القرآن الكريم: ما رواه ابن الهاد، قال: سألني نافعُ بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أُحَزِّبُهُ، فقال لي نافع: لا تقل: ما أُحَزِّبُهُ؛ فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قرأت جزءًا من القرآن**»(٢).

(١) رواه مسلم (٧٤٧)، وأبو داود (١٣١٣)، وابن ماجه (١٣٤٣)، وغيرهم.
(٢) تقدم (ص٥٧).

أنواع تحزيب القرآن[١] كما أرشد إليها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدَ الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال لي رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أنك تصومُ الدَّهرَ، وتقرأ القرآنَ كلَّ ليلة؟**». قلتُ: بلى يا نبيَّ الله، ولم أُرِدْ بذلك إلا الخيرَ. قال: «**فصُم صَوْمَ داودَ وكان أعبدَ الناس، واقرأ القرآن في كل شهر**». قال: قلتُ: يا نبيَّ الله، إني أُطيقُ أَفْضلَ من ذلك. قال: «**فاقرأه في كلِّ عشرين**». قال: قلت: يا نبيَّ الله، إني أطيق أفضلَ من ذلك. قال: «**فاقرأه في كل سَبْع، لا تَزِدْ على ذلك**». قال: فشدَّدْتُ؛ فشُدِّدَ عليَّ، وقال لي: «**إنك لا تدري لعلك يَطُولُ بك عُمُرٌ**». قال: فصِرْتُ إلى الذي قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما كَبِرتُ وَدِدْتُ أنِّي كُنتُ قَبِلْتُ رخصةَ نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

وفي رواية الترمذي: قال: قلتُ: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآنَ؟ قال: «**اختمه في شهر**». قلتُ: إني أطيقُ أفضلَ من ذلك. قال: «**اختمه في عشرين**». قلتُ: إني أطيقُ أفضلَ من ذلك. قال: «**اختمه في خمسةَ عشرَ**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**اختمه في عشر**». قلت: إني أطيقُ أفضلَ من ذلك. قال: «**اختمه في خمس**»، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فما رَخَّصَ لي[٣].

---

(١) مختصرة من كتاب «تحزيب القرآن» للدكتور عبد العزيز الحزمي.

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٤)، ومسلم (١١٥٩) واللفظ له.

(٣) رواه الترمذي (٢٩٤٦)، والدارمي (٣٥٥٠).

وفي أخرى له: أنه سأل رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في كم يُقرَأُ القرآنُ؟ قال: «**في أربعين يومًا**»، ثم قال: «**في شهرٍ**»، ثم قال: «**في عشرين**»، ثم قال: «**في خَمْسَ عَشْرَةَ**»، ثم قال: «**في عشر**»، ثم قال: «**في سبْع**»، **لم ينزل مِن سَبْع**[(١)].

وهذا الحديث أصل في مشروعية تحزيب القرآن الكريم، ورواياته تدل على أن حزب كلِّ إنسان بحسَبه.

١- الختم في أربعين يومًا

جاء في بعض روايات حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**اقرأه في أربعين يومًا**».

وعن الإمام أحمدَ: «أكثر ما سمِعت أنه يختم القرآن في أربعين».

وقال إسحاق بن إبراهيم: «ولا نحب للرجل أن يأتي عليه أكثر من أربعين يومًا ولم يقرأ القرآن؛ لهذا الحديث»[(٢)]. وذلك يبلغ في السنة تسع ختمات.

- وتقسيمه بالأجزاء: ستة أرباع يوميًّا (جزءًا إلا ربعين).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأربعون مدة الضعفاء، وأُولي الأشغال»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود (١٣٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٢٤٣)، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (صحيح) إلا قوله: «**لم ينزل من سبع**» شاذ؛ لمخالفته لقوله المتقدم (١٣٩١): «**اقرأه في ثلاث**».

(٢) أورده الترمذي عقب حديث رقْم (٢٩٤٦).

(٣) «التذكار» (ص١٠٢، ١٠٣).

أما تحزيبه على السوَر فيمكن أن يكون كالتالي:

١- البقرة (١-١٢٤)	١١- الأعراف (١٢٧-٢٠٦)	٢١- طه، الأنبياء	٣١- غافر، فصلت
٢- البقرة (١٢٥-٢٢٣)	١٢- الأنفال	٢٢- الحج، المؤمنون	٣٢- الشورى، الزخرف
٣- البقرة (٢٢٤-٢٨٦)	١٣- التوبة	٢٣- النور، الفرقان	٣٣- الدخان: محمد
٤- آل عمران (١-١١٠)	١٤- يونس	٢٤- الشعراء، النمل	٣٤- الفتح: الذاريات
٥- آل عمران (١١١-٢٠٠)	١٥- هود	٢٥- القصص، العَنكبوت	٣٥- الطور: الواقعة
٦- النساء (١-٨٧)	١٦- يوسف، الرعد	٢٦- الروم، لقمان	٣٦- الحديد: الصف
٧- النساء (٨٨- ١٧٦)	١٧- إبراهيم، الحجر	٢٧- السجدة، الأحزاب	٣٧- الجمعة: الحاقة
٨- المائدة	١٨- النحل	٢٨- سبأ، فاطر	٣٨- المعارج: المرسلات
٩- الأنعام	١٩- الإسراء	٢٩- يس، الصافات	٣٩- النبأ: الأعلى
١٠- الأعراف (١-١٢٦)	٢٠- الكهف، مريم	٣٠- ص، الزمر	٤٠- الغاشية: الناس

٢ - الختم في شهر

أوصى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدَ الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أولَ ما أوصى أن يختم القرآن الكريم في شهر، وهذه طريقة أكثر الناس من عموم الأمة.

وقد تمنى ابن عمرو لما كبِر وضعُف أن لو امتثل وصيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يختمه في شهر؛ لأنه القدْر الذي يمكنه المداومة عليه بدون انقطاع ولا مشقة.

فعلى تحزيب القرآن بالأجزاء على ثلاثين، يقرأ في كل يوم جزءًا.

وأما تحزيبه على السور، فيمكن اقتراح التالي:

١- البقرة (١-١٦٣)	١١- هود	٢١- الأحزاب : فاطر
٢- سائرة سورة البقرة[١]	١٢- يوسف، الرعد	٢٢- يس : ص
٣- آل عمران	١٣- إبراهيم، الحجر	٢٣- الزمر : فصلت
٤- النساء	١٤- النحل، الإسراء	٢٤- الشورى : الأحقاف
٥- المائدة	١٥- الكهف، مريم	٢٥- محمد : الذاريات
٦- الأنعام	١٦- طه، الأنبياء	٢٦- الطور : الحديد
٧- الأعراف	١٧- الحج، المؤمنون	٢٧- المجادلة : التحريم
٨- الأنفال	١٨- النور، الفرقان	٢٨- الملك : المرسلات
٩- التوبة	١٩- الطواسين (الشعراء : القصص)	٢٩- النبأ : الناس
١٠- يونس	٢٠- ذوات ﴿الٓمٓ﴾ (العنكبوت : السجدة)	

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إذا قرأه كلَّ شهر** كما أمر به النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدَ الله بن عَمرٍو أولًا عملًا على قياس تحزيب الصحابة؛ فالسورة التي تكون نحو جزء أو أكثر بنحو نصف أو أقل بيسير يجعلها حزبًا، كـ (آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف).

وأما (البقرة) فقد يقال: يجعلها حزبًا، وإن كانت بقدر حزبين وثلث؛ لكن الأشبه أن يقسمها حزبين للحاجة؛ لأن التحزيب لابد أن يكون متقاربًا؛ بحيث يكون الحزبُ مِثلَ الأجزاء، ومثله مرة ودون النصف، وأما إذا كان مرتين وشيئًا فهذا تضعيف وزيادة، وعلى هذا فإلى (الأعراف) سبعة أجزاء، و(الأنفال) جزء، و(براءة) جزء، فإن هذا أولى من جعلها جزءًا؛ لأن ذلك يفضي إلى أن يكون نحو الثلث في ثمانية، والذي رجحناه يقتضي أن يكون نحو الثلث في تسعة، وهذا أقرب إلى العدل» اهـ من «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤١٥).

٣- الختم في عشرين يومًا

وتحزيبه بالأجزاء معلوم في المصاحف (في اليوم جزء ونصف الجزء)، وأما تحزيبه بالسور، فيمكن اقتراح التالي:

١- البقرة	١١- الحج : الفرقان
٢- آل عمران	١٢- الشعراء : القصص
٣- النساء	١٣- العنكبوت : السجدة
٤- المائدة، الأنعام	١٤- الأحزاب : يس
٥- الأعراف	١٥- الصافات : غافر
٦- الأنفال، التوبة	١٦- فصلت : الأحقاف
٧- يونس، هود	١٧- محمد ﷺ : القمر
٨- يوسف : الحجر	١٨- الرحمن سبحانه : التحريم
٩- النحل : الكهف	١٩- تبارك : المرسلات
١٠- مريم : الأنبياء	٢٠- النبأ : الناس

٤- الختم في خمسة عَشَر يومًا

عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لَأَن أقرأه في عشرين، أو في نصف شهر، أحبُّ إليَّ من أن أقرأه في سبع؛ لأقفَ عليه وأتدبرَه»[(١)].

وفي بعض روايات حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصاه بأن يقرأه في خمسَ عَشْرةَ».

وتحزيبه بأجزاء القرآن المعروفة على جزأين كل يوم.

أما تحزيبه على السور، فيمكن اقتراح الآتي:

١- البقرة	٩- المؤمنون : الشعراء
٢- آل عمران، النساء	١٠- القصص : لقمان
٣- المائدة، الأنعام	١١- السجدة : يس
٤- الأعراف، الأنفال	١٢- الصافات : فصلت
٥- التوبة، يونس	١٣- الشورى : الذاريات
٦- هود : إبراهيم	١٤- الطور : القلم
٧- الحجر : الكهف	١٥- الحاقة : الناس
٨- مريم : الحج	

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣/ ٢٢٨)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٥/ ٣٥).

٥- الختم في عَشرةَ أيَّام

وتحزيبه بالأجزاء يكون على ثلاثة أجزاء في كل يوم.

أما تحزيبه بالسور، فيمكن اقتراح التالي:

١- البقرة، آل عمران	٦- الحج : القصص
٢- النساء : الأنعام	٧- العنكبوت : يس
٣- الأعراف : التوبة	٨- الصافات : محمد ﷺ
٤- يونس : الحجر	٩- الفتح : التحريم
٥- النحل : الأنبياء	١٠- الملك : الناس

وبهذا يختم القارئ نحو سِتٍّ وثلاثين ختمةً كلَّ سنة.

٦- الختم في أسبوع

وهذا هدي السلف الصالح، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأكثرون من السلف كانوا يختمون في كل سبع»[(١)].

وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أوسط الأمور وأحسنُها، وهو فِعْلُ الأكثر من الصحابة وغيرهم»[(٢)].

وكان عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقرأ على بعض أهله السُّبُعَ من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخفَّ عليه بالليل، فإذا أراد أن يتقوَّى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهن؛ كراهية أن يترك شيئًا فارق عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتحزيبه بالسور كالتالي: (٣، ٥، ٧، ٩، ١١، ١٣، المفصَّل)، ويجمع أوائلَ حروفِ السوَرِ التي يُبدأ بها كل حزب عبارةُ: «فمي بشوق»، وهي رمز اصطلاحي يرمز إلى أوائل الأحزاب المقسم على سبعة أيام؛ فالفاء (للفاتحة)، والميم (للمائدة)، والياء (ليونس)، والباء (لبني إسرائيل)، والشين (للشعراء)، والواو لسورة (والصافات)، والقاف لـ (قَ) إلى آخر القرآن.

فيكون التحزيب كالتالي:

١- البقرة : النساء.
٢- المائدة : التوبة.
٣- يونس : النحل.
٤- الإسراء: الفرقان.
٥- الشعراء : يس.
٦- الصافات : الحجرات.
٧- ق : الناس.

(١) «التبيان» (ص٥٩).
(٢) «الإتقان في علوم القرآن» (ص٢٥٩).

٧- الختم في خمسة أيام

قال بعض حفاظ القرآن الكريم: «مَن تعاهد القرآن في خمس؛ أَمِنَ مِن الطَّمْس»، أي: النسيان.

وجاء في بعض روايات حديث ابن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اختمه في خمس**».

ويكون تحزيبه بالأجزاء ستة أجزاء يوميًّا.

أما تحزيبه بالسور، فيمكن اقتراح ما يلي:

١- البقرة : المائدة.

٢- الأنعام : إبراهيم.

٣- الحجر : القصص.

٤- العنكبوت : محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥- الفتح : الناس.

٨- الختم في ثلاثة أيام

وهو أقصى حالات الاجتهاد، وجاءت في روايةٍ لحديث عبد الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا بأس من ذلك أحيانًا في المواسم الفاضلة، وعند ارتفاع همة أولي العزم، والتفرغ للعبادة؛ كوقت الاعتكاف، وفي أيام رمضان، وفي الأسفار، لاسيما إذا كان حافظًا متقنًا، ورمزها: (فيء) الفاء للفاتحة، والياء ليونس، والهمزة للأحزاب، ويكون تحزيبها بالسور:

١- البقرة : التوبة.

٢- يونس : السجدة.

٣- الأحزاب : الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما رواية مَن روى: **(مَن قرأَ القرآنَ في أقلَّ مِن ثلاثٍ لم يفقه)**[١] فلا تُنافي روايةَ التَّسبيع؛ فإن هذا ليس أمرًا لعبد الله بن عَمرٍو، ولا فيه أنه جعل قراءته في ثلاث دائمًا سُنة مشروعة، وإنما فيه الإخبار بأن مَن قرأه في أقلَّ من ثلاثٍ لم يفقه، ومفهومُه مفهومُ العدد، وهو مفهومٌ صحيح: أن من قرأه في ثلاث فصاعدًا فحُكْمُه نقيضُ ذلك، والتناقض يكون بالمخالفة، ولو من بعض الوجوه.

(١) رواه أبو داود (١٣٩٠)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٢٣٩).

فإذا كان مَن يقرؤه في ثلاث أحيانًا قد يفقهه حصلَ مقصودُ الحديث، ولا يلزم إذا شُرِعَ فِعلُ ذلك أحيانًا لبعض الناس أن تكون المداومةُ على ذلك مستحبة؛ ولهذا لم يُعلم في الصحابة على عهده مَن داومَ على ذلك، أعني: على قراءته دائمًا فيما دون السَّبْع؛ ولهذا كان الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرؤه في كلِّ سبْع»[1].

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤٠٧).

صور أخرى من الختم

وهذه لم تَرِدْ في حديث ابن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لكنها مروية عن بعضهم:

- كالختم في أربعة أيام، أو ستة، أو ثمانية، أو تسعة، أو أحدَ عَشَرَ، أو خمسةٍ وعشرين.

- وكذا الختم في ستين يومًا (وهو أقل الأوراد).

- وقيل: أكثر مدة للختم في السنة مرتين؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرض على جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في السَّنة التي قُبض فيها مرتين[1].

(١) انظر: «الإتقان» للسيوطي (ص٢٦٠).

حكم ختم القرآن الكريم في أقلَّ من ثلاث

قراءة القرآن الكريم في أقل من ثلاث خلاف السُّنة[١]، ومِن العلماء مَن كرِهه، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة»[٢].

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «... ولا أعلم نبيَّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ القرآنَ كلَّه في ليلة»[٣].

ورُوي عنها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث»[٤].

وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[٥].

أما ما ورد عن بعض السلف كعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قرأ القرآن في ركعة يوتر بها، وكذا عن سعيد بن جبير، فقد أشار الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تضعيفهما، وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحسنَ الإمامُ الترمذي برواية هذا الخبر، والذي بعده بصيغة التَّضعيف؛ لأن الركعة مهما طالت لا يمكن أن يُقرأ فيها القرآن الكريم كاملًا، فضلًا عما في ذلك من مخالفةٍ لسنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الركوع والسجود والقيام، وحاشا لسيدنا عثمان أن يفعل مثل ذلك»[٦].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني (٥/ ٦٠٠).

(٢) «الأذكار النووية» (ص١٥٤).

(٣) رواه مسلم (٧٤٦).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٧٦)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (٢٤٦٦).

(٥) رواه أبو داود (١٣٩٠، ١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠١٣)، وابن ماجه (١٣٤٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٢٥٧).

(٦) «ضعيف سنن الترمذي» (ص٣٥٧).

وعلى فرض ثبوت صحة ذلك عن بعض السلف، فقد أجاب عنه العلماء كما يلي:

١- أنه لم يبلغهم النهيُ عن ذلك:

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يُشكِل على هذا ما ثبت عن بعض السلف مما هو خلاف هذه السنة الصحيحة؛ فإن الظاهر أنها لم تبلغهم»[(١)].

٢- أنها بلغتهم، ولكن لم يحملوا النهي على التحريم[(٢)].

٣- أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرؤونه مع هذه السرعة[(٣)].

٤- أنهم نظروا إلى كثرة الحسنات، ولو فاتهم التدبر.

٥- أنهم فهِموا أن المكروه هو المداومة على ذلك واتخاذه عادة، أما إذا كان الختم في أقلَّ من ثلاث عارضًا؛ كزيادة نشاط، وتوقد حماس، وعلو همة، لا سيما عند اغتنام فضل الزمان (كشهر رمضان)، أو المكان كمكة المكرمة -فلا حرج-، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إنما ورد النَّهيُ عن قراءة القرآن في أقلَّ من ثلاثٍ على المداومة على ذلك، فأمَّا في الأوقات الفاضلة كشهر رمضان، خصوصًا الليالي التي تُطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المُفضَّلة كمكَّة لمن دخلها من غير أهلها، فيُستحبُّ الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتنامًا لفضيلة الزمان والمكان، وهو قول أحمدَ وإسحاقَ وغيرِهما من الأئمة، وعليه يدلُّ عملُ غيرهم»[(٤)].

(١) «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٦٠١)، وانظر: «فضائل القرآن» لابن كثير (ص٢٦٠).

(٢) انظر: «تحفة الأحوذي» (٨/ ٢١٩).

(٣) «فضائل القرآن» لابن كثير (ص٢٦٠).

(٤) «لطائف المعارف» (ص١٦٦).

- قال سلام بن أبي مطيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان قتادةُ يختم القرآن في سَبْعٍ، فإذا جاء رمضان ختم في كلِّ ثلاث، فإذا جاء العَشْرُ ختم كلَّ ليلة».

- وعن علقمة: أنه كان بمكَّةَ في ليلة، فطاف فقرأ السّبع الطّول، ثم طاف طوافًا آخَرَ فقرأ بالمثاني، ثم طاف طوافًا آخر فقرأ ما بقيَ في ليلة واحدة.

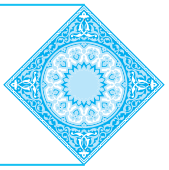

نقد أخبار فيها مبالغة منكرة في عدد مرات الختم

نُقل عن البعض أنه ختم القرآن الكريم مراتٍ في اليوم والليلة تصل إلى ثماني ختمات في اليوم والليلة، ومثل هذا النقل يُشكُّ في صحته ولابُدّ؛ فإنه يخالف الحس والواقع إلا إن قصد أنه يقرؤه بعينه دون تحريكٍ للسان، وليست هذه القراءة التي تعبَّدنا الله بها، ورتب الثواب على كل حرف يُقرأ فيها كما يأتي إن شاء الله[١].

ونقل الحافظ ابن حجر في ترجمة محمد بن أحمد بن محمد الحرَّاني المعروف بابن القزَّاز (ت ٧٠٥هـ) أن الذهبي قال: «أخبرني أنه تلا بمكة أزيد من ألف ختمة، وأنه اتكأ في الحِجر من جهة الميزاب فتلا فيه ختمة»، ثم علَّق الذهبي قائلًا: «لعله قرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات»[٢]!

ولما سمِع الفقيه ابن العربي أن رجلًا بالمشرق يقال له: أبو عيسى التلمساني كان يختم في اليوم والليلة اثنيْ عَشَرَ ألْفَ ختمةٍ، قال هذا في مجلسه وابن العربي الفقيه حاضر، فقال الفقيه ابن العربي: «لو كان يقول: (القرآن، القرآن، القرآن) ما أتم اثني عشر ألف مرة»[٣]!

(١) انظر: (ص١٠٢، ١٠٣).

(٢) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» للحافظ ابن حجر (٥/ ٨٧).

(٣) «الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة» لحسين الشوشاوي (ص٢٢٧، ٢٢٨).

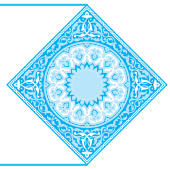

المفاضلة بين القراءة القليلة بتدبر وبين سرعة القراءة مع كثرتها

قال الإمام المحقق ابن قيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

«ذهب ابنُ مسعود وابنُ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيرُهما إلى أن **الترتيلَ والتدبر مع قلة القراءة أفضلُ من سرعة القراءة مع كثرتها**. واحتج أربابُ هذا القول بأن المقصود من القراءة فهمُه وتدبُّره، والفقهُ فيه والعملُ به، وتلاوتُه وحفظُه وسيلة إلى معانيه، كما قال بعض السلف: نزل القرآن ليعملَ به، فاتخذوا تلاوته عملًا. ولهذا كان أهلُ القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب. وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس مِن أهله وإن أقام حروفه إقامةَ السهم.

قالوا: ولأن الإيمانَ أفضلُ الأعمال، وفَهْمُ القرآن وتدبُّره هو الذي يُثمر الإيمان، وأما مجردُ التلاوة من غير فهم ولا تدبر، فيفعلها البرُّ والفاجرُ، والمؤمن والمنافق، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومَثَلُ المنافق الذي يقرأ القرآن، كمثل الرَّيْحانة؛ رِيحُها طيب، وطعمها مُرٌّ**»[(١)].

والناس في هذا أربع طبقات: أهل القرآن والإيمان، وهم أفضل الناس. والثانية: من عَدِم القرآن والإيمان. الثالثة: من أوتي قرآنًا، ولم يُؤت إيمانًا. الرابعة: من أوتي إيمانًا ولم يُؤت قرآنًا.

(١) رواه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧)، وأصحاب السنن.

قالوا: فكما أن من أُوتي إيمانًا بلا قرآن أفضلُ ممن أوتي قرآنًا بلا إيمان، فكذلك من أوتي تدبرًا وفهمًا في التلاوة أفضلُ ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر.

قالوا: وهذا هديُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه كان يرتِّل السورة حتى تكون أطولَ من أطولَ منها، وقام بآية حتى الصباح.

وقال أصحابُ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: **كثرة القراءة أفضلُ**، واحتجوا بحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف**» رواه الترمذي، وصححه[(١)].

قالوا: ولأن عثمان بن عفان قرأ القرآن في ركعة، وذكروا آثارًا عن كثير من السلف في كثرة القراءة.

والصواب في المسألة أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجَلُّ وأرفعُ قدرًا، وثوابَ كثرة القراءة أكثرُ عددًا[(٢)]، **فالأول**: كمَن تصدَّق بجوهرة عظيمة، أو أعتق عبدًا قيمتُه نفيسة جدًّا، **والثاني**: كمَن تصدَّق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتُهم رخيصة، وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: سألت أنسًا عن قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: كان يمدُّ مدًّا[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٢)، وحسنه، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ شعيب: «وهو كما قالا».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٠٨)، و«الإتقان» للسيوطي (ص٢٦٤).

(٣) رواه البخاري رقم (٥٠٤٥، ٥٠٤٦)، والنسائي (٢/ ١٧٩)، وابن ماجه (١٣٥٣).

وقال شعبة: حدثنا أبو جمرة، قال: قلتُ لابن عباس: إني رجل سريعُ القراءة، وربما قرأتُ القرآن في ليلة مرة أو مرتين، فقال ابنُ عباس: لَأَن أقرأ سورةً واحدة أعجبُ إليَّ من أن أفعل ذلك الذي تفعل، فإن كنتَ فاعلًا ولا بد، فاقرأ قراءةً تُسْمِعُ أُذُنَيْك، ويعيها قلبُك[(١)]»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

«والتحقيق أن لكلٍّ من الإسراع والترتيل جهةَ فَضْل، بشرط أن يكون المسرع لا يخلُّ بشيء من الحروف والحركات والسُّكون الواجبات، فلا يمتنع أنْ يفضل أحدُهما الآخَرَ وأنْ يستويا، فإنَّ مَنْ رتَّل وتأمَّل كمَنْ تصدَّق بجوهرة واحدة مثمنة، ومَن أسرع كمَن تصدَّق بعدَّة جواهرَ لكنْ قيمتُها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثرَ من قيمة الأُخريات، وقد يكون بالعكس»[(٣)].

(١) انظر: «فضائل القرآن» لابن كثير (ص٢٣٦)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٣٨٧٦)، (٤٤٩١).
(٢) «زاد المعاد» (١/ ٣٣٨).
(٣) «فتح الباري» (٩/ ٨٩).

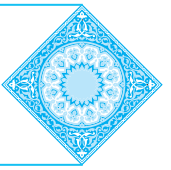

التحزيب بالسور التامة أولى من التجزئة بالحروف

وذلك للأسباب التالية:

الأول: أن هذا كان هدي الصحابة رضوان الله عليهم، فكانوا يحزبون القرآن سورًا تامة، ولا يحزبون السورة الواحدة.

عن أوس بن حذيفة، قال: «سألتُ أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبْع، وتسع، وإحدى عشرةَ، وثلاثَ عشرةَ، وحزب المفصَّل واحد».

وفي رواية للإمام أحمدَ: «قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عَشْرةَ، وثلاثَ عَشْرةَ، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم»[(١)].

الثاني: أن التجزئة بالحروف محدثة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

«وفيه -أي: خبر أوس بن حذيفة- أنهم حَزَّبوه بالسور، وهذا معلوم بالتواتر؛ فإنه قد عُلِم أن أول ما جُزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين. هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة وأثناء القصة

(١) تقدم تخريجه (ص٥٨).

ونحو ذلك = **كان في زمن الحَجَّاج وما بعده**، ورُوِيَ أن الحجاج أمر بذلك. ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك.

وإذا كانت التجزئة بالحروف مُحْدَثَةً من عهد الحجاج بالعراق فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده كان لهم تحزيبٌ آخَرُ؛ فإنهم **كانوا يقدرون تارةً بالآيات**، فيقولون: خمسون آية، ستون آية[(١)]، **وتارةً بالسور**، لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد، ولا ذكره أحد؛ فتعيَّن التحزيب بالسور»[(٢)].

الثالث: أن تحزيب الأجزاء رُوعيَ فيها الحروفُ[(٣)]، ولم يراعَ في بدايتها ونهايتها المعنى، فيَفصل مَن يراعيها بين الأحكام المترابطة، والقصة الواحدة، والمعاني المؤتلفة، وإنما كان التحزيب بالأجزاء مِن فعل الحَجَّاج بن يوسف ومَن معه، راعوا في ذلك الحروف، ولم يراعوا المعاني، **وتحزيب الصحابة كان بالسور، والابتداء بما بدأ الله، والختم بما ختم خير من هذه التجزئة.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إن هذه التحزيبات المُحْدَثة تتضمن دائمًا الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيكون القارئ في اليوم الثاني مبتدئًا بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء:٢٤]، وقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب:٣١]،

---

(١) انظر: (ص١٠٠، ١٠١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤٠٩).

(٣) ومع ذلك فإن التجزئة المحدثة لا سبيل فيها إلى التسوية بين حروف الأجزاء؛ لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان، وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤١٢).

وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض -حتى كلام المخاطبين- حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٥]، ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي؛ ولهذا لو أُلحق بالكلام عطفٌ أو استثناء أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي لم يَسُغْ باتفاق العلماء، ولو تأخر القَبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين لم يَسُغْ ذلك بلا نزاعٍ»[(١)].

الرابع: أن في التحزيب بالسور مصلحةً عظيمة ترجحه، وهي:

قراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما خَتَمَ به، وتكميل المقصود من كل سورة، كما أن فيه زوالَ مفاسد التجزئة بالحروف.

الخامس: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة «ق» ونحوها[(٢)]، وكما كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ: بـ«يونس، ويوسف، والنحل»، ولما قرأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسورة (المؤمنون) في الفجر أدركته سعلة فركع في أثنائها. وقال: «**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأخفف؛ لما أعلم من وَجدِ أمِّه به**».

وأما القراءة بأواخر السور وأوساطها فلم يكن غالبًا عليهم؛ ولهذا يتورع في كراهة ذلك، وفيه النزاع المشهور في مذهب أحمدَ وغيرِه، ومن أعدل الأقوال قول

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤١٠، ٤١١).
(٢) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٢١٤، ٢١٥).

مَن قال: **يكره اعتياد ذلك دون فعله أحيانًا**؛ لئلا يخرج عما مضت به السُّنة، وعادة السلف من الصحابة والتابعين.

وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة فيه مخالفة السُّنة أعظم مما في قراءة آخر السورة ووسَطها في الصلاة. وبكل حال فلا ريب أن التجزئة والتحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسَنُ، والمقصود أن **التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة**»[1].

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤١١، ٤١٢).

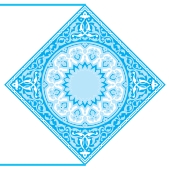

دعوة إلى إعادة النظر في التحزيب الحالي للقرآن الكريم

نشرت مجلة «منار الإسلام» في العدد الثالث من السنة السادسةَ عشْرةَ مقالًا بعنوان: (رأي جديد جريء حول المصحف الشريف للدكتور محمد رجب البيومي) يقول فيه:

«إن الأكثرية من قراء كتاب الله يلتزمون التزامًا مطلقًا بما جرى عليه العرف من تقسيمه إلى أجزاء فأحزاب وأرباع وَفق ما جاء في المصحف الشريف، فالقارئ يبدأ القراءة أحيانًا بأول الجزء كما يبدؤها أحيانًا بأول الحزب أو أول الربع، وأكثر هذه الابتداءات صحيح لا لبس فيه؛ إذ يأتي القول الجليل غير متصل بما سبقه، فتتم المعاني القرآنية على وجهها الحميد، كما أن القارئ ينتهي عند آخر الربع أو الجزء فيكون انتهاؤه في أحيان كثيرة حيث تكتمل المعاني، ولو اطرد الأمر على هذا النهج القويم ما تكلفتُ كتابة هذا المقال، ولكن الواقع الملموس يقدِّم لنا أمثلة لا يصلح الابتداء بها صلاحية توضح المرمى لمن لا يحفظ كتاب الله، كما يقدِّم لنا أمثلة لا يصلح الوقوف عندها؛ إذ تبقى المعاني المتصلة مطردة السياق، فيظل السامع متعطشًا إلى تالٍ يكمل الموضوع، ويُتم المراد».

ثم ضرب لذلك أمثلة عديدة كاشفة، منها:

١- في سورة النساء يبتدئ القارئ بأول الجزء الخامس قائلًا: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٤]،

والقول متصل الحكم بسابقه؛ إذ إن المحصنات معطوفة على قوله عَزَّوَجَلَّ في الآية السابقة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ ... ﴾ [النساء:٢٣]، فلماذا لا يكون الابتداء بالآية الأولى ونجعلها أول الجزء المقروء؟

٢- في سورة آل عمران يبتدئ القارئ بأول الربع قائلًا: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ... ﴾ [آل عمران:٥٢]، وواضح أن الضمير في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مِنْهُمُ ﴾ يعود إلى متقدم في الآية السابقة وهم (بنو إسرائيل)، حيث يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران:٤٩]، فكيف يتلقى السامع غيرُ الحافظ كلامًا لا يدري مرجعه؟!

٣- وما أكثرَ ما نلحظ أشباه ذلك في قصص الأنبياء، فهناك ابتداءات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [هود:٤١]، ومثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل:٥٦]، ومثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ [يوسف:٥٣] مع أن الحوار متصل.

٤- فإذا تركنا قصص الأنبياء نرى نظائرَ من هذا الوادي تتطلب المعاودة المستأنية في الابتداءات والوقوف، ففي سورة الأعراف (٤٧) مثلًا يبتدئ القارئ

بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٧]، والمشهد ممتد.

٥- وفي سورة آل عمران (١٧١) يبتدئ القارئ بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧١]، والأَولى أن يبتدئ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، وهي من الأُولى بمكان قريب.

٦- ومن الابتداءات التي لا أدري كيف ارتضاها السابقون أن يبدأ القارئ في سورة الروم (٣١) بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الروم:٣١]، وإعراب ﴿مُنِيبِينَ﴾ يحتم أن نبدأ بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾ [الروم:٣٠].

٧- وقد يبتدئ القارئ بدعاء متصل بما قبله فينفصل الابتهال فصلًا يجعله متبلورًا دون موجب، كما يتضح من قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فإن فعل الأمر معطوف على قوله عَزَّوَجَلَّ في الآية التي قبلها: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥].

٨- أما الانتهاءات فأغرب ما سمِعتُ منها ما انتهى إليه القارئ من سورة الإسراء (٤٩)، حيث وقف عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٤٩]! وما عليه لو امتدَّ فتلَا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ...﴾ [الإسراء:٥٠-٥١]؟! ولكن الربع قد وقف عند هذا الحد.

ثم قال الدكتور محمد رجب البيومي:

«وتجزئة المصحف على النحو المعهود إلى أرباع فأحزاب فأجزاء لم تكن على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عهود خلفائه الراشدين، وإنما كانت -كما نقل السيوطي- في عهد الحجاج حيث قسَّم القرآن إلى سبعة أجزاء يتلو القارئ في كل يوم سُبعًا، وجاء من بعد الحجاج مَن والى التجزئة حتى صارت أجزاءُ القرآن ثلاثين، ثم انقسم الجزء إلى حزبين، والحزب إلى أربعة أرباع».

وانتهى الدكتور البيومي من ذلك كلِّه إلى القول بعدم الحرج إذا أُلِّفت لجنة علمية من كبار القُرَّاء وعلماء التفسير والوقوف لينظروا إلى هذه الوقوف المعترض عليها، ثم ليضعوا الوقوف المناسبة للمعاني، وهم في أمان من أن يقول متشدد: إن التقسيم المعهود يجب أن يُتَّبع، وعندئذٍ يكون القرآن ميسَّرًا للذكر كما أراد الله له أن يكون، وقد نصَّ الإمام محيي الدين النووي على استحباب النقط والشكل صيانةً للمصحف الشريف عن اللحن وشيوع الخطأ بين السامعين والقارئين، والنقط والشكل لم يكونا في مصحف عثمان، وإنما استُحدِثا مِن بعدُ، وقد استُحدثت تبعًا لذلك إشاراتُ التجزئة، ونحن الآن لا نستحدثها ولكن نعدلها فقط، فهل من سميع؟ اهـ.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

«ينبغي للقارئ أن يبتدئ من أول السورة أو من أول الكلام المرتبط، ويقف على آخرها أو آخر الكلام المرتبط بعضه ببعض، ولا يتقيد بالأجزاء والأعشار؛ فإنها قد تكون في وسط كلام مرتبط، كالجزء في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾،

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾، ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾، ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ﴾، ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾، ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾... فكلُّ هذا وشبهه لا يُبتدَأ به ولا يُوقَف عليه، ولا يغتر بكثرة الفاعلين له؛ ولهذا قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكمالها أفضل من قدرها من طويلة؛ لأنه قد يخفى الارتباط»[(١)].

وقال القُرْطُبي في مقدمة «تفسيره»:

«فصل: وأما وضع **الأعشار**[(٢)] فقال ابن عطية: مرَّ بي في بعض التواريخ أن المأمون العباسي أمر بذلك، وقيل: إن الحجاج فعل ذلك.

وذكر أبو عمرو الداني في كتاب «البيان» له عن عبد الله بن مسعود: أنه كرِه التعشير في المصحف، وأنه كان يحكه.

ثم قال الداني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهذه الأخبار كلُّها تؤْذِن بأن التعشير والتخميس وفواتح السور ورؤوس الآي من عمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قادهم إلى عمله الاجتهادُ»[(٣)].

وجاء في القرطبي أيضًا:

«فصل: وأما عدد حروفه وأحزابه فروى أبو محمد الخِمَّاني أن الحجاج ابن يوسف جمع القرَّاء والحفَّاظ والكتَّاب، فقال: أخبروني إلى أي حرف ينتهي

(١) «المجموع شرح المهذب» (٢/ ١٦٧)، وانظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص٧٧، ٧٨).

(٢) **تعشير المصاحف:** هو جعل العواشر فيها، والعواشر: الآي التي قسم بها العشر، وهو وضع علامة بعد كل عشر آيات، يضعون كلمة (عشر) أو رأس «العين» حرفها الأول عند نهاية كل عشر آيات، انظر: «الصحاح» (٣/ ٧٤٧)، و«اللسان» (٤/ ٥٧١)، و«المفردات» للأصفهاني (ص٣٤٧).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٦٣، ٦٤).

نصف القرآن؟ فإذا هو في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في الفاء. قال: فأخبروني بأثلاثه، فإذا الثلث الأول رأس مئة من براءة، والثلث الثاني رأس مئة وإحدى من ﴿طسّمّ﴾ الشعراء، والثلث الثالث ما بقي من القرآن. قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف... قال سلام أبو محمد: عمِلناه في أربعة أشهر، وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعًا»[(١)].

وقد تبنى فكرةَ إعادة النظر في تحزيب القرآن الكريم الأستاذُ ماجد الحموي، وأيَّد دعوته بقوله:

«والـذي يقارن بين طبعات المصاحف قديمِها وحديثِها يجد تغييرًا لبعض مواضع الأجـزاء أو الأحـزاب رأى القراءُ أن الأنسب تبديلُ هذه المواضع؛ لاستقامة المعنى، فمثلًا كان الجزء الرابع يبدأ بالآية (٩٢) من آل عمران، فأخَّروه إلى الآية (٩٣).

وكان الجزء السابع يبدأ بالآية (٨٣) من المائدة، فقدَّموه إلى الآية (٨٢).

وكان الجزء التاسع ينتهي بالآية (٤١) من الأنفال، فجُعِلَ في الآية (٤٠).

وكان الجزء الحادي عشر يبدأ بالآية (٩٤) من التوبة، فقُدِّم للآية (٩٣)، وفي نسخة أخرى للآية (٩٢)، ولو أُخِّر للآية (٩٦) لاكتمل المعنى وكان أفضل.

وكان الجزء السادس والعشرون يبدأ بالآية (٣٥) من سورة الجاثية، فأُخِّر ليبدأ من أول سورة الأحقاف.

فلماذا لا نكمل هذا العمل ليكونَ كل موقف في مكانه المناسب؟

---

(١) «نفسه» (١/ ٦٤).

لذلك عُدْتُ إلى المصحف الشريف لأتتبعَ بداياتِ ونهايات الأحزاب وأرباعها، فوجدت أن أكثر من نصفها لا يصلح للبَدء أو للختام.

واستغربت كيف أن المسلمين لم ينتبهوا لذلك، وإذا انتبهوا لماذا لم يغيروا نحو الأفضل؟!

ثم زال استغرابي بعد أن لاحظت أن الغالبية العظمى من المسلمين حتى القرَّاء منهم عندما يقرؤون القرآن لا يحاولون فَهم ما يقرؤون، بل هو واجب أو وِرد يقوم به المسلم يبتغي الأجر فقط، وقد شاع بين الناس أن تلاوة القرآن بفَهم أمْ بغير فَهم يَتقرب به المسلم إلى ربه، فاكتفوا بالتقرب، ولم يُعملوا ذهنهم لفَهم كتاب الله، ولا الاستفادة منه، ولا التعمق في أسراره»[(١)].

(١) «دعوة لإعادة النظر في تجزئة القرآن الكريم وتحزيبه بشكلٍ لا يُخل بالمعنى» (ص٨، ٩)، وقد ألحق ببحثه جدولًا يوضح المواضع القديمة للأجزاء والأحزاب والأرباع، ثم أتبعها بالمواضع الجديدة التي يقترحها حسبما يقتضيه المعنى، وبيَّن سبب التغيير المقترح في كل موضع.

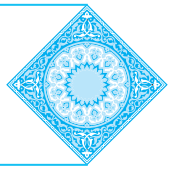

الحزب القرآني
يختلف باختلاف الأشخاص

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بالتدبر».

وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه

مع الختم حِلاًّ وارتحالًا مُوَصَّلا

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي أن يحافظ على تلاوته ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، وقد كانت للسلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عاداتٌ مختلفة في القدر الذي يختمون فيه، فكان جماعة منهم يختمون في كل شهرين ختمة، وآخرون في كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليالٍ ختمة، وآخرون في كل ثمان ليال ختمة، وآخرون في كل سبع ليال ختمة، وهذا فعل الأكثرين من السلف، وآخرون في كل ستٍّ ليال، وآخرون في خمس، وآخرون في أربع، وكثيرون في كل ثلاث، وكان كثيرون يختمون في كل يوم وليلة ختمة...» اهـ[1].

وقال أيضًا: «والمختار: أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائفُ ومعارف، فليقتصر على قدر يحصل له كمال فَهم

(١) «الأذكار النووية» (ص٨٥).

ما يقرأ، وكذا من كان مشغولًا بنشر العلم، أو فصل الحكومات بين المسلمين، أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوت كماله، ومَن لم يكن مِن هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدِّ الملل أو الهذرمة في القراءة.

وقد كرِه جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، ويدلُّ عليه ما رويناه بالأسانيد الصحيحة في «سنن أبي داود»، والترمذي، والنسائي، وغيرها، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَفْقَهُ مَنْ قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث**»[(١)].

وأما وقت الابتداء والختم، فهو إلى خيرة القارئ، فإن كان ممن يختم في الأسبوع مرةً، فقد كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبتدئ ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس» اهـ[(٢)].

وقال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«... والتَّفصيل في مقدار القراءة: أنه إنْ كان من العابدين السَّالكين طريقَ العمل فلا ينبغي أن يُنْقِصَ عن ختمتين في الأسبوع، وإنْ كان من السَّالكين بأعمال القلب وضروب الفِكْر، أو من المشتغلين بِنَشْر العلم، فلا بأس أن يَقْتصر في الأسبوع على مرة، وإنْ كان نافِذَ الفِكْر في معاني القرآن، فقد يكتفي في الشهر بمرَّة؛ لكثرة حاجته إلى كثرة التَّرديد والتَّأمُّل»[(٣)].

---

(١) انظر: (ص٧٣).

(٢) «الأذكار النووية» (ص٨٦).

(٣) «الإحياء» (١/ ٢٧٦).

وقال أحمد بن محمد بن قُدامةَ المقدسيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ومنهم -يعني: السلفَ- مَن كان يختم في ثلاث، ومنهم مَن كان يختم في أسبوع، ومنهم مَن كان يختم في كل شهر؛ اشتغالًا بالتَّدبُّر، أو بنشر العلم، أو بتعليمه، أو بنوعٍ من التَّعبُّد غير القراءة، أو بغيره من اكتساب الدُّنيا.

وأَولى الأمر: ما لا يمنع الإنسان من أشغاله المُهمَّة، ولا يُؤذيه في بدنه، ولا يفوت معه الترتيل والفَهم»[1].

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٥٥).

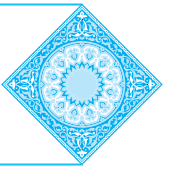

لا عذر لمن هجر تلاوة القرآن

عن أم المؤمنين عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الماهر**[١] **بالقرآن مع السَّفَرة**[٢] **الكرامِ البَرَرة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع**[٣] **فيه، وهو عليه شاقٌّ؛ له أجران**»[٤].

وفي لفظٍ آخَرَ: «**والذي يقرؤه وهو يشتدُّ عليه، فله أجران**»[٥].

وعليه فلا عذر لمن هجر تلاوة القرآن حتى لو كان يتردد في تلاوته بسبب ضَعفِ حفظه، بل يؤجر هذا أجرين: أجرًا لتلاوته، وأجرًا على المشقة والمجاهدة، لكنه مطالب بالنهوض بحفظه وتقويته حتى يصير ماهرًا به.

(١) **الماهر بالقرآن**: أي الحاذق به، الذي لا يتوقف ولا يشق عليه قراءته لجودة حفظه وإتقانه، ورعاية مخارجه بسهولة.

(٢) **السَّفَرة**: الكَتَبة، والمراد الملائكة الذين هم حَمَلة اللوح المحفوظ، سُمُّوا بذلك لأنهم ينقلون الكتب الإلهية المنزلة إلى الأنبياء منه، كأنهم يستنسخونها.

(٣) **يتتعتع فيه**: يتوقف في تلاوته، والتعتعة في الكلام التردد فيه لحَصَرٍ أو عِيٍّ أو ضعف حفظ.

(٤) رواه مسلم (٧٩٨).

(٥) رواه أبو داود (١٤٥٤)، وصحَّحه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» رقْم (١٢٩٠).

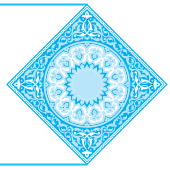

كيف تواظبُ على وِردك القرآني؟

- على العبد أن يجاهد نفسه في المحافظة على وِرده، ويواظبَ عليه إلى أن يصبح ذلك عادةً راسخة، وليستحضر أن المجاهدة في بداية الطريق تشبه عملية «الإقلاع» التي يَعقُبها طيران الطائرة في الهواء.

- ويمكن أن يستعين بالقَسَم بالله تعالى على أن يحافظ على وِرده خلال هذا الأسبوع -مثلًا- في وقته، فإذا حَنِثَ كفَّر عن يمينه، وإذا وُفِّق زاد المدة إلى شهرٍ مثلًا إلى أن يصبح عادةً راسخة.

ويمكن أن نستأنس هنا بما رواه عقبة بن صالح قال: قلت لإبراهيمَ: ما تقول في اللعب بالشطرنج؛ فإني أحب اللعب بها؟، قال: «فإنها ملعونة، فلا تلعب بها»، قال: قلت: إني لا أصبر عنها، قال: «فاحلف لا تلعب بها سنة»، قال: فحلفتُ، فصبرتُ عنها[١].

- ومما يعين على المداومة على الوِرد أن يُخَصِّصَ له وقتًا متصلًا في قيام الليل[٢]، أو في مجلسٍ واحدٍ عَقِيبَ صلاة الصبح، وبعد الإتيان بأذكار الصباح،

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٢٤٢).

(٢) وليقرأ غيبًا ما يحفظه في قيام الليل، ويترخص في القراءة من المصحف الشريف فيما لم يحفظه بعدُ، إلى أن يُتم حفظه كلِّه.

فقد كان عبد الرحمن بن أبي ليلى **إذا صلَّى الصبح** قرأ المصحف حتى تطلع الشمس، وكان ثابتٌ البُناني يفعل ذلك أيضًا[١].

– فإن لم يناسبه ذلك وزَّع وِردَه على أوقات عدة خلال اليوم، أو يربطه بقبل الصلوات أو بعدها، أو كليهما.

(١) «سنن الدارمي» (٣٤١٤).

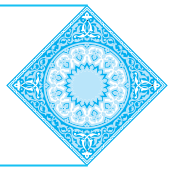

كن واقعيًّا متوازنًا وأنت تختار حزبك

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إنك لَتصوم النهار، وتقوم الليل؟**»، قال: نعم، قال: «**إذا فعلتَ ذلك هَجَمَتْ[١] له العَينُ، ونَفِهَت[٢] له النفْسُ، لا صامَ مَن صامَ الأبد، صومُ ثلاثةِ أيامٍ صومُ الدَّهر كلِّه**».

وفي رواية أخرى، قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألم أُخْبَرْ أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟**»، قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**فلا تفعلْ، صُمْ وأفطِرْ، ونَمْ وقُمْ؛ فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لِزَوْرِكَ[٣] عليك حقًّا، وإن بحسْبك[٤] أن تصوم من كل شهر ثلاثةَ أيام؛ فإن لك بكل حسنةٍ عشرَ أمثالها، فإذًا ذلك[٥] صيامُ الدهر**». وفي رواية لمسلم: «**فإن لِوُلْدِكَ عليك حقًّا**»[٦].

---

(١) **هَجَمَت العين**: إذا غارت ودخلت في نُقْرتها من الضعف والمرض.

(٢) **نَفِهَت النفس**: إذا أعيت وكَلَّت.

(٣) **الزور**: الزائرون.

(٤) الباء هنا زائدة، والمعنى: أن صوم الثلاثة الأيام كافيك.

(٥) **فإذًا**: روي بالتنوين، وبلفظ: «إذا» التي للمفاجأة.

(٦) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير الجزري (١/ ٢٩٧-٣٠٢)، و«تهذيب سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣٩).

فَعَلى المكلَّف أن يراعي التوازن بين وظائفه الحياتية الدينية منها والدنيوية[١]، ويراعي عند تحديد حزبه القرآني أن «يُفَصِّله» على قَدِّه ومقاسه تمامًا كما يفعل الحائك عندما يخيط له ثوبًا، ويؤلف بين المسؤوليات الملقاة على عاتقه، وحجم وقته المتاح، ويختار في التحزيب ما يجد له خفة ونشاطًا وعونًا على الثبات والمداومة والأوفق الأحب إلى قلبه، ولا يشق على نفسه مشقة تُحْدِثُ له مللًا وانقطاعًا.

ولْيعرفْ قَدْرَ نفسه بلا وَكسٍ ولا شطط، ولا يُجازف في تقدير قدراته؛ فإن «مَنْ كَبَّر اللقمة غَصَّ فيها»، وإن المرء لو تكلف ما لا يستطيعه فإنه يُضطر إلى الإخلال والانقطاع عما عزم على فعله، وقليلٌ يدوم خيرٌ من كثير ينقطع.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال عند الله ما دام، وإن قَلَّ**»[٢].

وفي مسلم: «**وإن أحب الأعمال ما دُووم عليه وإن قلَّ، وكان آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عمِلوا عمَلًا أثبتوه**»[٣].

---

(١) ولا يشعرن بالذنب إذا أنفق وقتًا وجهدًا في الكسب الحلال؛ فقد قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن إخواننا من المهاجرين كان يَشْغَلُهم الصَّفْقُ بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يَشْغَلُهم العمل في أموالهم» الحديثَ، رواه البخاري (١١٨). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع مَن يَقوتُ**» رواه أبو داود (١٦٩٢) وغيره، وحسَّنه الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ٤٠٧)، وانظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٣١٢-٣٢٠).

(٢) رواه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٠٧).

(٣) رواه مسلم (١٣٠٢).

وتحديد مقدار «الحزب» أمر تنظيمي محض، الهدف منه المواظبة على قراءة القرآن الكريم وعدمُ هجره، فإذا وجد نشاطًا في بعض الليالي طوَّل القراءة، وإن كَسِلَ قصرها، لكن لا يقل عن الحد الأدنى من حزبه؛ كي تصبحَ قراءةُ القرآنِ الكريمِ عادةً يومية كسائر الوظائف التي لا يتخلى عنها تحت أي ظرف.

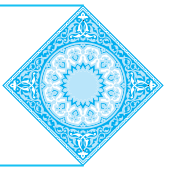

تنبيهات تتعلق بتحزيب القرآن الكريم

الأول: لا يليق بمسلم أن يخلي يومه وليلته عن قراءة القرآن الكريم:

لما ثبت من فضل جزيل لمن يقرأ كتاب الله تعالى، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل:٢٠].

وقال الإمام البخاري: حدثنا عليٌّ، حدثنا سفيان، قال لي ابن شبرمة: «نظرتُ كم يكفي الرجلَ من القرآن[١]، فلم أجد سورةً أقلَّ من ثلاث آيات، فقلت: لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقلَّ من ثلاث آيات».

ثم روى البخاري بسنده إلى أبي مسعود الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنه من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كَفَتَاهُ**»[٢].

قال الحافظ: «أي: أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن. وقيل: أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقًا، سواء كان داخل الصلاة أم خارجَها... وقيل: معناه: كفتاه كل سوء...»[٣].

(١) أي: في الصلاة كما في «الفتح» (١١/ ٢٩٩).
(٢) رواه البخاري (٥٠٥١)، ومسلم (٨٠٧).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٨) بتصرف.

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ بألف آية كُتب من المُقنطِرين**»(١).

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن قرأ في ليلةٍ مئة آية لم يُكتب من الغافلين، أو كُتب من القانتين**»(٢).

- وعن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قرأ بمئة آية في ليلةٍ كُتب له قنوتُ ليلةٍ**»(٣).

ومن بركات المواظبة على وِرد القرآن الكريم أن في ذلك تعاهدًا للقرآن الكريم، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعاهَدوا القرآن؛ فوالذي نفسي بيده، لهو أشدُّ تَفَصِّيًا من الإبل في عُقُلها**»(٤)؛ لأن مِن شأن الإبل طلبَ التفلت ما أمكنها، فمتى لم يتعاهدها برباطها تفلتت، فكذلك حافظ القرآن إن لم يتعاهده تفلت، بل هو أشد في ذلك.

الثاني: الاستماع للقرآن الكريم عبادة فاضلة، لكن لا تهجر قراءته بنفسك:

الاستماع للقرآن الكريم عبادة عظيمة، وهي سبب لرحمة الله؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢)، وقال الألباني في «الصحيحة» رقْم (٦٤٢): «إسناده جيد».

(٢) أخرجه ابن نصر في «قيام الليل» (ص٦٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١١٤٢)، وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (٦٤٣): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨/ ١٥٦) برقم (١٦٩٥٨)، والدارمي (٣٤٩٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقْم (٦٤٤).

(٤) رواه البخاري (٥٠٣٣).

ولهذا قال الليث: «ما الرحمة إلى أحد بأسرعَ منها إلى مستمع القرآن»[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ الآيةَ [الزمر: ١٧، ١٨]، وأحسن القول هو القرآن الكريم.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ الآيةَ [الزمر:٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ الآيةَ [المائدة:٨٣].

ومع ذلك فإن مِن الناس مَن يقتصر على سماع القرآن الكريم في الصلوات الجهرية، أو في إذاعة القرآن الكريم، أو غير ذلك، لكنه يهجر تلاوته بنفسه مع قدرته على ذلك، وهذا سبب للحرمان من الفضائل العظيمة الثابتة في القرآن والسنة لقراءة القرآن الكريم.

الثالث: لا يُنال ثوابُ القراءة بمجرَّد النظر دون تلفُّظٍ بحروفها:

لا بد من النُّطق بالقراءة، والتلفُّظ بالتلاوة لحصول الأجر، فبعض الناس يقرأ القرآن بدون تحريك الشَّفتين، قراءةً صامتة، فلا يحصل بذلك على فضيلة القراءة.

ولا بأس من النظر في القرآن الكريم من غير قراءة، وذلك لتدبُّره، وتعقُّله وفَهمِ معانيه، لكنه لا يُعتبر قارئًا إلا إذا تلفَّظ بالقرآن، وحرَّك شفتيه، عند ذلك يَثبت له أجر التلاوة، ولو لم يُسْمِعْ مَنْ حوله؛ لما جاء عن أبي أُمامةَ الباهليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمِعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»[(٢)].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/ ٢٣).

(٢) رواه مسلم (٨٠٤).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكنْ ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف**»[(١)].

ولا يُعتبر قارئًا إلا إذا تلفَّظ بذلك.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلمْ أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها، واجبةً كانت أو مستحبة، لا يُحسَبُ شيءٌ منها، ولا يُعْتَدُّ به حتى يتلفظ به بحيث يُسمِع نفْسَه، إذا كان صحيح السمع لا عارض له»[(٢)] اهـ.

وقال الجزري في «العدة»: «ولا يُعتد له بشيء مما رتبه الشارع على قوله حتى يتلفظ به، ويُسمع نفسه» اهـ.

وقال الشوكاني تعليقًا على كلام الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما اعتبار التلفظ فهو معلوم من أقواله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصرحة بأن مَن قال كذا كان له مِن الأجر كذا، فلا يحصل له ذلك الأجرُ إلا بما يصدق عليه معنى القول، وهو لا يكون إلا بالتلفظ باللسان»[(٣)].

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، وقال: «حسن صحيح غريب»، وصحَّحه الحاكم، وأقرَّه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٣٢٧).

(٢) «الأذكار النووية» (ص١٠).

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص٤٢).

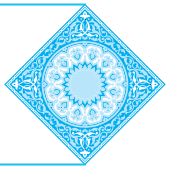

الـوِرد الشخصي

– الوِرد أو الحزب هو مجموعة من الأذكار المأثورة[١] يلتزمها الذاكر، ويواظب عليها تقربًا إلى الله تعالى، وهو تطوع لم يفرضه الله عليه.

– وينصرف الوِرد عند الإطلاق إلى تلاوة القرآن الكريم، فهو أهم وِرد يطالَب المسلم بالمحافظة عليه يوميًّا؛ كي لا يكون ممن اتخذ القرآن مهجورًا، وأفضل أحوال الورد القرآني اليومي أن يكون في صلاة قيام الليل.

– وقد شاع لفظا «الورد» و«الحزب» في الصدر الأول[٢] بالمعني السني السلفي، أما شيوعها بالمفهوم الصوفي الحادث فقد ذهب أصحاب «دائرة المعارف الإسلامية» إلى أن كلمة «الحزب» لم تطلق على الأدعية إلا في القرن السادس للهجرة[٣].

– وقد شاع على ألسنة السلف الصالح ومن تبِعهم من الخلف استعمالُ كلمة (الورد) أو (الحزب) منسوبةً إلى الشخص المعين، مقصودًا بها في الغالب وِردُ القرآن الكريم[٤] الذي يُتلى في قيام الليل.

ولا يليق بالمسلم ألا يبذل للقرآن الكريم إلا الفَضْلَةَ من وقته، فلا يقرب المصحف الشريف إلا في وقت «العطلة»!

(١) وهذا هو الأصل والمستحب، راجع (ص١٦٨) حيث بيَّنا جواز الدعاء بغير المأثور وشروطه.
(٢) راجع (ص٢٠، ٥٦).
(٣) «دائرة المعارف الإسلامية» تأليف مجموعة من المستشرقين (٧/ ٣٦٩، ٣٧٠).
(٤) راجع فصل «من أحوال السلف في الورد الشخصي» (ص١٢٦-١٣٧).

- بل لا يليق بمسلم أن يخلوَ يومُه من (ورد) يومي يتلوه من القرآن الكريم، بل لابد أن يكون (وردك) من خصائص هُويتك، وكما تتضمن بطاقة هُويتك بياناتِك الشخصيةَ الأساس من الاسم والميلاد والوظيفة والعنوان... إلخ؛ كذلك ينبغي أن تتضمن قدرَ (وردك) اليومي من القرآن الكريم، كعلامة مميزة مما يخص هُويتك ويُمَيِّزُها.

- وقد يأتي الدعاء بمعنى الـوِرد، كما في الحديث الذي رواه أُبَيُّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذهب ربع الليل قام، فقال: **«يا أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تَتْبَعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»** -قال أبي بن كعب-: قلت: يا رسول الله، إني أُكثِرُ الصلاةَ عليك، فكم أجعل لك من صلاتي[(١)]؟ قال: **«ما شئتَ»**، قلت: الربع[(٢)]؟ قال: **«ما شئتَ، وإن زِدتَ فهو خير»**، قلت: النصف؟ قال: **«ما شئت، وإن زدت فهو خير»**، قلت: الثلثين؟ قال: **«ما شئت، وإن زدت فهو خير»**، قال: أجعل لك صلاتي كلَّها[(٣)]، قال: **«إذن تُكفى همَّك[(٤)]، ويُغفر لك ذنبُك»**[(٥)].

---

(١) يفهم من هذا أنه جعل لنفسه وِردًا يدعو فيه لنفسه من الليل، وقوله: «فكم أجعل لك من صلاتي؟» أي: بدل دعائي الذي أدعو به لنفسي، قاله القاري. وقال المنذري في «الترغيب»: «معناه: أكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاةً عليك؟» انظر: «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٥٣).

(٢) قوله: الربع: أي أجعل لك ربع أوقات دعائي لنفسي مصروفًا للصلاة عليك؟

(٣) أي: أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي.

(٤) وصلاتك على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أنها تدفع عنك هم الآخرة، وهو العذاب الأكبر، فإنها تدفع عنك هم العاجلة وبلاء الدنيا، ولذلك لما وقع الطاعون ببلده ألَّف ابن أبي حجلة الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا بحثُّ فيه الناس على كثرة الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسماه: «دفع النقمة بالصلاة على نبي الرحمة».

(٥) رواه عبد بن حُميد في «مسنده» (١/ ١٧٠ - المنتخب)، وإسماعيل القاضي (١٤)، وابن أبي عاصم =

وفي رواية: «**إذن يكفيك اللهُ هَّم الدنيا، وهَّم الآخرة**». والمعنى: أنك إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة عَلَيَّ؛ أُعطِيت مَرامَ الدنيا والآخرة[(١)].

قال الإمام المحقق ابن قَيِّم الجَوْزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جِلاء الأفهام»:

وسُئل شيخنا أبو العباس[(٢)] عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأُبيّ ابن كعب دعاءٌ يدعو به لنفسه، فسأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل يجعل له منه رُبعَه صلاةً عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: «**إن زِدْتَ فهو خير لك**»، قال له: النصفَ؟ فقال: «**إن زدتَ فهو خير لك**»، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلَّها، أي: أجعل دعائي كلَّه صلاةً عليك؟ قال: «**إذًا تُكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك**»؛ لأن من صلى على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاةً صلى اللهُ عليه به عشرًا، ومن صلى الله عليه، كفاه همه، وغفر له ذنبه. هذا معنى كلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٣)].

- من خصائص «الورد الشخصي» أنه لا يرتبط بوقت ولا عدد محددين،

وإنما يقوم كل إنسان -على حدة- بتحديد الوقت والعدد الذي يناسب ظروفه الشخصية، دون أن يُلزم بهما غيره.

- يختص الورد الشخصي بالذكر المطلق دون المقيد:

فإن الذكر المقيد بلفظ وعدد وهيئة وزمان ومكان خارجٌ تمامًا عن دائرة الورد الشخصي؛ لأن هذا التقييد من خواصِّ الشارع، وإلا وقع المكلَّف في البدعة.

=في الصلاة (٥٨)، ورواه الترمذي رقْم (٢٤٥٧)، وصححه، والحاكم (٢/ ٥١٣) رقْم (٣٨٩٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٢٤٢)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقْم (٩٥٤).

(١) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٥٤).

(٢) هو شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

(٣) «جِلاء الأفهام» (ص٧٥، ٧٦) ط. دار عالم الفوائد.

- الأصل في الورد الشخصي التزام المأثور:

ويباح الدعاء بغير المأثور أحيانًا[١]، لكن لا يجعله ديدنه وشعاره، ولا يهجر الأدعية المأثورة لأجله.

يقول الشيخ جيلان العروسي -حفظه الله-:

«لو دعا في بعض الأحيان بما يستحضره من حوائجه التي يحتاج إليها من أمور الدنيا والآخرة من دون تقيد بالمأثور فلا حرج فيه، وإنما الممنوع جعلها شعارَه وديدنه كأنها السُّنة»[٢].

(١) بشرط مراعاة الضوابط التي أشرنا إليها في هامش (ص١٦٨).

(٢) «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» (ص٥٨٩، ٥٩٠).

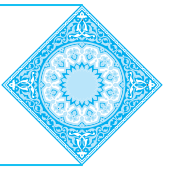

ما الأذكار المطلقة؟

هي المأثورة التي وردت عن الشارع، ولم تُربَط بسبب، ولا وظيفةٍ، ولا مناسبة، ولا هيئة، ولا عدد.

من أنواع الذكر المُطْلَق: التهليلُ، والتكبير، والتسبيح، والتحميد، والحَوْلَقة، والاستغفار.

ومنها: الأدعية المطلقة[١].

ومنها: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبخاصة يومُ الجمعة.

ومنها: الدعاء للوالدين، والأهل، والذرية، ولمشايخه، وإخوانه في الله، وسائر المسلمين.

(١) وقد جمعتها قدر الوُسْع في «أدعية القرآن والسنة» طبعة دار الخلفاء ١٤٤١هـ.

الورد الشخصي أمانٌ من هجر الأذكار المطلقة التي نُدِبنا إلى الإكثار منها

عن أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**استكثروا من الباقيات الصالحات**»، قيل: وما هُنَّ يا رسول الله؟ قال: «**التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أكثروا من شهادة أن لا إله إلا اللهُ، قبل أن يُحال بينكم وبينها، ولقِّنوها موتاكم**»(٢).

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**طُوبى لمن وَجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»(٣).

وعن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحَبَّ أن تَسُرَّه صحيفتُه**(٤)، **فليُكْثِرْ فيها من الاستغفار**»(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١١٧١٣)، وأبو يعلى (١٣٨٤)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١/ ٥١٢، ٥١٣)، وقال محققو «المسند»: «حسن لغيره».

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»، وابن عدي في «الكامل»، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٨)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقْم (٤٦٨).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٠٧٨).

(٤) يعني: عند الاطِّلاع عليها في يوم الحساب.

(٥) أخرجه الضياء في «المختارة» (١/ ٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٩٩).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها كَنز من كنوز الجنة**»(١).

ورُوي عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةَ أُسْرِي به مَرَّ على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: «**يا محمد، مُرْ أُمَّتك أن يُكثِروا من غِراس الجنة**»، **قال: «وما غِراس الجنة؟» قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»**(٢).

ورُوي عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أكثروا من غَرْس الجنة؛ فإنه عذبٌ ماؤها، طيِّب ترابها، فأكثِروا من غِراسها: لا حول ولا قوة إلا بالله**»(٣).

فهذه الأذكار المطلقة رغم أننا أُمِرنا بالإكثار منها؛ فإن بعض الناس قد يهجرونها ويغفلون عنها، بخلاف الأذكار الموظفة؛ فإنها راتبة تتكرر مناسباتها، فيحافظ العبد عليها، ومن هنا يأتي «الورد الشخصي» ليخصِّصَ فيه العبد وقتًا ما لكل واحدٍ من الأذكار المطلقة، أو لكلِّها مجتمعةً، ولا بأس أن يحدد لكل منها عددًا؛ كي «يكثر» منها في جلسة «الوِرد الشخصي».

ونضرب لذلك أمثلة:

١ - فإن الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أفضل العبادات القولية، وعن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أكثروا الصلاة عليَّ**؛

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٤٠٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٢٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٥٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» رقْم (٨٢١)، وقال الحافظ ابن حجر: «هذا حديث حسن»، وضعَّفه محققو المسند.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٣٥٤)، وفي «الدعاء» (١٦٥٨)، وقال محققه: «إسناده ضعيف» (٣/ ١٥٥١).

فإن الله وكَّل بي مَلَكًا عند قبري، فإذا صلى عليَّ رجل من أمتي قال لي ذلك المَلَكُ: يا محمد، إن فلان بن فلان صلَّى عليك الساعة»[(١)].

ورُوي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أَولى الناس بي يوم القيامة، أكثرُهم عليَّ صلاةً**»[(٢)].

وعن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِن عبدٍ يُصلي عليَّ، إلا صلَّت عليه الملائكة، ما دام يُصلي عليَّ، فَلْيُقِلَّ العبد من ذلك أو يُكثِر**»[(٣)].

وحديث أُبَيٍّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)] يدلُّ على استحباب أن يخصص العبد وقتًا فاضلًا يعمره بورد الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كثيرًا**، ولا يقتصر في احتفاله بهذه العبادة الشريفة على الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فقط- عند ذكر اسمه الشريف.

ويا حبذا لو كان هذا الوِردُ يوم الجمعة وليلتَها؛ لما رُوي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أكثروا الصلاة عليَّ يومَ الجمعة**»[(٥)].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يستحبون إكثار الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الجمعة»[(٦)].

---

(١) أخرجه الديلمي، وحسَّنه بشواهده الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٧٧)، والترمذي (٤٨٨) وقال: «حسن غريب»، وابن حبان في «صحيحه» (٩١١)، وضعَّفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (٧٤).

(٣) رواه ابن ماجه، وحسَّنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» رقم (٧٤٨).

(٤) تقدَّم (ص١٠٥، ١٠٦).

(٥) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٧٨)، وقال أبو حاتم الرازيُّ: «هذا حديث منكر بهذا الإسناد» كما في «العلل» (١/ ٢٠٥).
وانظر: «جِلاء الأفهام» لابن القيم (ص٧٧-٨٨).

(٦) «جِلاء الأفهام» (ص٨٨).

٢- وقد ينشغل بعض الناس عن الأدعية المطلقة، ويهجرها، لكنه إذا خَصَّص لها وِردًا في أوقاتِ مظنة إجابة الدعاء، كآخر ساعة بعد العصر يوم الجمعة، فيقوم مستقبل القبلة يصلي (أي: يدعو) منتظرًا دخول وقت المغرب، فسوف يحييها ولا يهجرها.

٣- وهكذا في «الاستغفار» مثلًا، إذا فرغ من قيام الليل يخصص وِردًا للاستغفار بصِيَغِه المأثورة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨]، وقال يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لبنيه لما سألوه أن يستغفر لهم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٩٨] قيل: أخَّرهم إلى وقت السَّحَر.

وفي حديث النزول يقول الله تعالى حين يبقى ثُلثُ الليلِ الآخِرُ: «**هل من مستغفر يُغْفَرُ له؟**» حتى ينفجر الصبح[(١)].

وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يصلي من الليل، ثم يقول: «يا نافع، هل جاء السَّحَرُ؟»، فإذا قال: «نعم»؛ أقبَلَ على الدعاء والاستغفار حتى يصبح.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) واللفظ له.

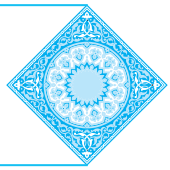

الورد الشخصي
مسألة تنظيمية بحتة

١- من المقرر في علم أصول الفقه: أنه لا يجوز تقييد ما أطلقه الشارع، كما لا يجوز إطلاق ما قيَّده، ولا فرق، فالمطْلق يجري على إطلاقه، والمقيد يبقى على قيده، ولهذا قال الإمام المحقق أبو إسحاقَ الشاطبيُّ في كتابه العظيم «الاعتصام»:

«فالتقييد في المطلقات التي لم يثبت بدليل الشرع تقييدُها رأيٌ في التشريع»[(١)].

وقال أيضًا: «فصل: ومن البدع الإضافية التي تقرب من الحقيقية: أن يكون أصل العبادة مشروعًا، إلا أنها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل؛ توهمًا أنها باقية على إطلاقها تحت مقتضى الدليل، وذلك بأن يقيد إطلاقها بالرأي، أو يطلق تقييدها»[(٢)].

وقال -أيضًا- في الباب الرابع في مأخذ أهل البدع بالاستدلال:

«ومنها تحريف الأدلة عن مواضعها، بأن يرد الدليل على مناط فيُصرف عن ذلك المناط إلى أمرٍ آخَرَ موهمًا أن المناطين واحد، وبيان ذلك: أن الدليل الشرعي

(١) «الاعتصام» (٢/ ٩٤).
(٢) «نفسه» (٢/ ١٤٠).

إذا اقتضى أمرًا في الجملة مما يتعلق بالعبادات -مثلًا-، فأتى به المكلَّف في الجملة -أيضًا-؛ كذكر الله، والدعاء، والنوافل والمستحبات، وما أشْبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة؛ كان الدليل عاضدًا لعمله من جهتين:

من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به.

فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة، أو زمان مخصوص، أو مكان مخصوص، أو مقارنًا لعبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار متخيلًا أن الكيفية أو الزمان مقصودٌ شرعًا من غير أن يدل الدليل عليه، وكأن الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه، فإذا ندب الشرع -مثلًا- إلى ذكر الله، فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت واحد[(١)]، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات؛ لم يكن في ندب الشرع ما يدلُّ على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعًا شأنها أن يُفهم التشريع وخصوصًا مع من يقتدى به في مجامع الناس كالمساجد، فإنها إذا أُظهِرَتْ هذا الإظهار، ووُضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المساجد وما أشبهها كالأذان... فُهِم منها بلا شك أنها سنن إذا لم تُفهم منها الفرضية، فأحرى أن لا يتناولها الدليل المستدل به، فصارت من هذه الجهة بدعًا مُحْدَثة بذلك»[(٢)].

(١) وقد ذكر الشاطبي ضمن أوجه مضادَّة البدعة للطريقة الشرعية: «التزام الكيفيات والهيئات المعيَّنة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد» اهـ. من «الاعتصام» (١/ ٤٤).

(٢) «الاعتصام» (٢/ ٣٣٤).

ولهذا قال الفقيه ابن عابدين في «الحاشية»:

«تخصيص الذكر بوقت لم يَرِد به الشرع غيرُ مشروع»[١].

ومما لا شك فيه أنه لا فرق بين تخصيص الذكر بوقت لم يَرِدْ، وبين تخصيصه بعدد لم يَرِد؛ إذ كلُّه من باب واحد، فمن لا يجيز ذلك لا يجيز هذا، والعكس بالعكس.

(١) «حاشية ابن عابدين» (١/ ٧٧٨).

ما يُراعى في الاجتماعِ على الذِّكْر[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاجتماع لصلاة تطوع أو استماع قرآن أو ذكر الله ونحو ذلك إذا كان يفعل ذلك أحيانًا فهذا أحسن؛ فقد صحَّ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التطوع في جماعة أحيانًا[٢]، وخرج إلى أصحابه وفيهم من يقرأ وهم يستمعون، فجلس معهم يستمع، وكان أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اجتمعوا أمروا واحدًا يقرأ وهم يستمعون، وقد ورد في القوم الذين يجلسون يتدارسون كتاب الله وسُنة رسوله، وفي القوم الذين يذكرون الله من الآثار ما هو معروف... فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرار الأسابيع والشهور والأعوام غير الاجتماعات المشروعة: فإن ذلك يضاهي الاجتماعات للصلوات الخمس، وللجمعة، والعيدين، والحج، وذلك هو المبتدَع المُحْدَث»[٣].

وقد روى أبو بكرٍ الخلَّالُ في كتاب «الأدب»، عن إسحاقَ بنِ منصور الكَوْسَج: أنه قال لأبي عبد الله -الإمام أحمد-: «يُكره أن يجتمع القوم يَدْعون الله

(١) ينبغي التنبُّه إلى أن الكلام هنا على الاجتماع على الذكر، وليس «الذكر الجماعي» الذي يرددون فيه بصوت جماعي (معًا أو وراء من يقودهم) لغير غرض التعليم.

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٧٢٧)، و«صحيح مسلم» (٣٣، ٦٥٨ : ٦٦٠).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٢٧٤).

ويرفعون أيديَهم؟»، قال: «ما أكـرهُ للإخوان إذا لم يجتمعوا على عمد إلا أن يُكْثِروا»[١]، وقال إسحاقُ بن راهويه كما قال الإمام أحمد. وإنما معنى: «ألَّا يكثروا»، ألا يتخذوها عادة حتى يُكْثِروا، هذا كلام إسحاقَ».

قال شيخ الإسلام معلقًا: «فقيَّد أحمدُ الاجتماعَ بما إذا لم يُتخذ عادة»[٢] اهـ.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ تطوُّعَ الصلاة فرادى وجماعة مشروع من غير أن يُتخذ جماعة عامة متكررة تشبه المشروع من الجمعة والعيدين والصلوات الخمس، **فكذلك تطوع القراءة والذكر والدعاء جماعة وفرادى**، وتطوع قصد بعض المشاهد[٣] ونحو ذلك كله من نوع واحد، **يفرق بين الكثير الظاهر منه والقليل الخفي، والمعتاد وغير المعتاد**، وكذلك كل ما كان مشروعَ الجنس، لكن البدعة اتخاذه عادة لازمة حتى يصير كأنه واجب»[٤].

(١) وفي ضوء هذا نفهم ما نقله المروزي قال: سألتُ أبا عبد الله عن القوم يبيتون، فيقرأ قارئ، ويدعو، حتى يصبحوا؟ فقال: «أرجو ألا يكون به بأس».

(٢) «الاقتضاء» (ص٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) يعني بالمشاهد هنا: الأمكنة التي قام فيها الأنبياء والصالحون، أو أقاموا فيها وعبدوا الله تعالى فيها، ولكن لم يتخذوها مساجدَ؛ كجبل ثور، وجبل أُحُد، وجبل حراء، وانظر: «الاقتضاء» (ص٣٤٧-٣٥٢).

(٤) «الاقتضاء» (ص٢٧٧).

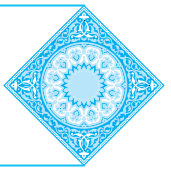

يجب اتِّباعُ الشَّرعِ في إطلاقِه وفي تَعيينِه

ذلك أن الشارع إذا أطلق الأمر بعبادةٍ من العبادات فينبغي أن يفهم من هذا الإطلاق: التوسعة؛ ولهذا فإن مَن خصص عبادة مطلقة بوقت معيَّنٍ أو بمكان معين فقد قيَّد ما أطلقه الشارع، وهذا التقييد مخالفة واضحة لمعنى التوسعة المستفاد من أمر الشارع المطلق.

قال أبو شامة: «**ولا ينبغي تخصيصُ العبادات بأوقات لم يخصصها بها الشرع**، بل يكون جميعُ أفعال البر مرسلةً في جميع الأزمان، ليس لبعضها على بعض فضلٌ **إلا ما فضَّله الشرع وخصَّه بنوع من العبادة**، فإن كان ذلك؛ اختُصَّ بتلك الفضيلة تلك العبادةُ دون غيرها؛ كصوم يوم عرفة، وعاشوراء، والصلاة في جوف الليل، والعمرة في رمضان»[(١)].

وقد بيَّن ابن تيمية المفسدة المترتبة على مثل هذا التخصيص، فقال: «... مَن أحدث عملًا في يوم؛ كإحداث صومِ أوَّلِ خميسٍ من رجب ... فلا بد أن يتبع هذا العملَ اعتقادٌ في القلب.

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص٥١).

وذلك لأنه لا بد أن يعتقد أن هذا اليومَ أفضلُ من أمثاله، وأن الصوم فيه مستحَبٌّ استحبابًا زائدًا على الخميس الذي قبله وبعده مثلًا... إذ لولا قيام هذا الاعتقاد في قلبه، أو في قلب متبوعه لَمَا انبعث القلب لتخصيص هذا اليومِ والليلة؛ فإن الترجيح من غير مرجِّحٍ ممتنعٌ»[١].

(١) «الاقتضاء» (٢/ ٦٠٠).

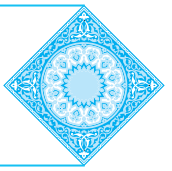

متى يسوغ تخصيص المطلق؟

١ - **يسوغ تخصيص المطلق متى خلا من المفسدة** التي بيَّنها شيخ الإسلام في كلامه الآنف الذكر.

«وذلك بأن يستند التخصيص إلى سبب معقول يقصد مثلَه أهلُ العقل والفراغ والنشاط؛ كتخصيص يوم الخميس لصلاة الاستسقاء لكونه يومًا يفرغ الناس فيه من أعمالهم، فهو أيسر لاجتماع الناس، **وكقصر المرء نفسه على ورد محدد من العبادة يلتزمه في أوقات مخصوصة، كل ليلة أو كل أسبوع، لكون ذلك أدعى لديمومة العمل وأقربَ إلى الرفق، فمثل هذا التخصيص موافق لمقصد الشارع.**

أما إذا صار التخصيص ذريعةً إلى أن يُعتقد فيه ما ليس مشروعًا فيمنع منه؛ لأمْرين: **أولًا**: لأجل الذريعة، **وثانيًا**: لكونه مخالفًا لمعنى التوسعة»[(١)].

قال الشاطبي: «ثم إذا فهِمنا التوسعة فلا بد من اعتبار أمرٍ آخَرَ، وهو أن يكون العمل بحيث لا يوهم التخصيص زمانًا دون غيره، أو مكانًا دون غيره، أو كيفية دون غيرها، أو يوهم انتقال الحُكْمِ من الاستحباب -مثلًا- إلى السُّنة أو الفرض»[(٢)].

(١) «قواعد معرفة البدع» للجيزاني (ص١١٧).
(٢) «الاعتصام» (١/ ٢٥١)، ط. دار عمر بن الخطاب - الإسكندرية.

وبهذا يتبين أن تخصيص العبادة المطلقة يسوغ بشرطين:

الأول: ألا يكون في هذا التخصيص مخالفةٌ لمقصود الشارع التوسعة والإطلاق.

والثاني: ألا يوهم هذا التخصيص أنه مقصود شرعًا»[(١)].

***

٢- التزام طريقة مقيدة في العبادة يلتزمها جميع الناس من غير دليل، غير مشروع:

حين دافع الإمام ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صلاة الرغائب، وكونها جائزةً، قال:

«ما فيها من التقييد بعدد خاص من غير قصد... هو كمن يتقيد بقراءة سُبع القرآن أو ربعه كل يوم، وكتقييد العابدين بأورادهم التي يختارونها لا يزيدون عليها ولا ينقصون، والله أعلم»[(٢)].

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رادًّا لهذا الفَهم في حاشية «المساجلة»:

«هذا التقييد إن كان على سبيل التنظيم للعمل، بحيث إنه لا تتخذ طريقة يلتزمها كل الناس فلا شيء فيه[(٣)]؛ لأنه لا يقصد به التقرب إلى الله -تعالى-، وأما إن اتخذ طريقة، ووُضعت في الكتب، والتزمها الناس جميعًا، كبعض صِيَغ الصلوات

(١) انظر: «قواعد معرفة البدع» للجيزاني (ص١١٩، ١٢٠).

(٢) «مساجلة علمية حول صلاة الرغائب المبتدعة» (ص٢١).

(٣) وقد قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ذكر الله تعالى في عدد مخصوص لم يأت به الشارع الحكيم بدعة» اهـ. من «الضعيفة» (١/ ١١٦).

والأوراد، مثل الصلاة المعروفة بـ(الصلاة النارية) بعدد (٤٤٤٤)! بحيث يظن أكثر الناس أنها مشروعة منقولة عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلا يَشك حينئذٍ عاقل في أن ذلك لا يشرع، وإني لأعرف أحد المشايخ كان إذا سافر استصحب معه كتاب (دلائل الخيرات)، وفيه كل يوم وظيفة، فكان أحيانًا يفوته حزبه من القرآن، ولا يفوته ورده من (الدلائل)، فكنت أسأله عن ذلك؟ فيقول: حزب القرآن يمكن قضاؤه في كل يوم، وأما ورد الدلائل فهو مخصص بيومه! أفليس هذا تشريعًا في الدين؟! فالله المستعان» اهـ[١].

وقال الشيخ علي بن محمد الدخيل الله حفظه الله تعالى:

«المداومة على نافلة محددة من أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما دلَّت على ذلك الأحاديث الشريفة، لكن بشرط أن لا تُتخذ شعارًا لطائفة معينة وبصفة معينة، وبشروط معينة؛ لأنها بهذا تَتخذ صفة التشريع في عبادة توقيفية.

ولو أن رجلًا من الناس داوم على نافلة معينة عددًا معينًا تقربًا إلى الله لما كان في ذلك بأس، لكن المحذور في اتخاذها شعارًا والتزام هيئات وكيفيات وشروط ما أنزل الله بها من سلطان، واعتقاد الثواب عليها، والعقوبة على تركها، والعدول عما ثبت عن المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيها»[٢].

(١) «مساجلة علمية حول صلاة الرغائب المبتدعة» للألباني هامش (ص٢١).
(٢) «التجانية» (ص٢٧٢، ٢٧٣).

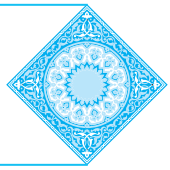

مقارنة بين الورد الشخصي وبين الأوراد المبتدعة

قد بان لك ممَّا تقدَّم أن الورد الشخصي ليس من البدعة في شيء، وأنه يفارق الأوراد والأحزاب المبتدعة من حيث:

١- كونه تنظيمًا شخصيًّا محضًا:

يناسب ظروف كل إنسان على حِدَة، من حيث تحديدُ نوع الذكر ووقته ومقدارِه، كما يفعل الحائك حين يصنع الثوب على مقاس صاحبه.

٢- فائدته:

يعين الإنسان على أن يكون من (الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات)؛ لأنه -بعد أن يأتي بالأذكار والأدعية الموظفة- يَعمد إلى الأذكار المطلقة المأثورة فيأتي بعدد يحدده لنفسه طبقًا لظروفه، وإلا خُشي أن يهمل الأذكار والأدعية المطلقة.

ومن هنا: فإن الورد الشخصي لا يؤدي إلى الإعراض عن السنن المأثورة كما هو شأن الأوراد والأحزاب المبتدعة التي يبالغ أصحابها في ادِّعاء فضائل لها، ويحافظون عليها، ويهملون المأثور منها، حتى القرآن الكريم نفسه، بل إن الورد الشخصي مدعاة إلى إحياء الأذكار المطلقة والإكثار منها، وتحصيل ثواب ذلك.

٣- ألفاظه:

يلتزم الذاكر في «الوِرد الشخصي» ألفاظ المأثور من الأذكار المطلقة،

كالتسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل، والحولقة، والاستغفار، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ[١]، ولا مكان فيها للألفاظ غير المأثورة، وبخاصة الألفاظ الأعجمية، والطَّلاسِم الغامضة، والكلام المسجوع المتكلف، والتقعر، والاعتداء.

٤-فضيلته:

يشترط ألَّا يُدَّعى لعدد مرات تَكرارِ الذكرِ فضيلةٌ لم تثبت، وألَّا ينسبها إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يداوم على ورده الشخصي من الأذكار المطلقة ملتزمًا صفة ثابتة عددًا ووقتًا كأنها سُنة راتبة، لكن ينوعها طبقًا لظروفه الشخصية.

٥- مصدره:

الوحيان الشريفان: القرآن الكريم، وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحيحة، ولا مكان فيه لمصادر المعرفة الوهمية كالرؤى المنامية، أو الإلهام والكشف، أو ادِّعاء لقيا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته يقظةً أو الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتلقي الأوراد والأدعية منهما، وهذه «الأصول» التي «لا تأصيل لها» كمصدرٍ للتلقي والتشريع[٢]: هي منبع الابتداع الذي حصل في الأوراد، فأضافت إلى الدين ما ليس منه، وهي السر وراء إصرار المبتدعة على اختراعها والغلو في فضائلها، والمحافظة عليها ولو على حساب الأوراد المأثورة.

(١) انظر صِيغَهَا المأثورة في «مختصر النصيحة» للمؤلف (ص٦٩-٧١).
(٢) انظر: «أصول بلا أصول» للمؤلف، طبعة دار التوحيد للتراث بالإسكندرية.

٦- إلزام الآخرين به:

فالورد الشخصي ليس فيه تشريعٌ للآخرين، أو إلزامٌ لأحد بالمحافظة عليه، وإنما هو لازم لصاحبه باختياره، ولا يتعدَّاه إلى غيره، إلا أن يُحَرِّضَ غيرَه على الذكرِ مطلقًا، فهذا تناصح وتعاون على البر.

من أحوال السلف في الورد الشخصي

- عن الحسن، قال: «كان عمر يمرُّ بالآية في وِرده فتخنقه فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يُعاد؛ يحسبونه مريضًا»[(١)].

إذا قرأ القرآن سالت دموعُهُ

ولاح على الخدين منه خشوعُهُ

إذا اسودَّ جُنْحُ الليل قام مُصَلِّيًا

وقعقع من خوفِ الإلهِ ضُلُوعُهُ

- وعن عِكْرِمةَ، أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يسبح كل يوم اثني عشر ألْفَ تسبيحة، يقول: «أسبِّح بقدر دِيَتي»[(٢)].

- وعن نعيم بن محرز بن أبي هريرة، عن جده أبي هريرة، أنه كان له خيط، فيه ألْفا عقدة، فلا ينام حتى يسبح به[(٣)].

- وقال ابن جابر: كان عمير بن هانئ يضحك، ثم يقول: بلغني أن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إني لأستجم؛ ليكونَ أنشط لي في الحق، فقلت:

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٥١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦١٠).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٣).

أراك لا تفتر عن الذكر، فكم تسبِّح في كل يوم؟ قال: «مئة ألف إلا أن تخطئ الأصابع»[١].

- وعن مخلد بن الحسين قال: كان بالبصرة رجل يُقال له شدَّاد أصابه الجذامُ فانقطع، فدخل عليه عُوَّاده من أصحاب الحسن، فقالوا: كيف تجدك؟ قال: «بخير، **ما فاتني حزبي من الليل منذ سقطت**، وما بي إلا أني لا أقدر على أن أحضر صلاة الجماعة»[٢].

- وقال ابن شوذب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان عروةُ بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف، ويقوم به ليله، **فما تركه إلا ليلة قطع رجلِه**، ثم عاودَ حزبه من الليلة المقبلة».

- وقال أبو نعيم: حدثنا إسحاق، ثنا إبراهيم، ثنا أحمد، قال: كنت إذا شكوت إلى أبي سليمانَ قساوةَ قلبي **أو شيئًا قد نمتُ عنه من حزبي** أو غير ذلك، قال: «بما كسبت يداك، وما الله بظلام للعبيد، شهوة أصبتها»[٣].

- وعن أبي داودَ الحَفَريِّ قال: دخلت على كُرْزِ بن وَبَرَة بيته فإذا هو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: «إن بابي مُغلَق، وإن سِتري لمسبَل، **ومُنِعْتُ حزبي أن أقرأه البارحة**، وما هو إلا من ذنب أحدثتُه»[٤].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٤٨)، و(٥/ ٤٢١)، وانظر: «نزهة الفضلاء» رقم (٨٣٨) (ص١٧٨).

(٢) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٤٦).

(٣) «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٣).

(٤) «نفسه» (٥/ ٧٩).

- وعن ابن المبارك، عن كرز بن وبرة قال: «عجزتُ عن حِزبي، وما أُراه إلا بذنبٍ، وما أدري ما هو!»[١].

- وعن محمد بن ثابت البُناني، قال: ذهبتُ ألقن أبي وهو في الموت (لا إله إلا الله)، فقال: «يا بني، دعني؛ فإني في وردي السادس أو السابع»[٢].

- وعن سلمة قال: «كان خالد بن معدان يُسَبِّح في اليوم أربعين ألْفَ تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات، ووضع على سريره ليغسل، جعل بأصبعه كذا يحركها -يعني: التسبيح»[٣].

- وقال رياح القيسي: «لي نَيِّفٌ وأربعون ذنبًا، قد استغفرتُ لكل ذنب مائة ألف مرة»[٤].

- **وختم آدم بن أبي إياس (ت ٢٢٠هـ) القرآن، وهو مسجّى للموت،** ثم قال: بحبِّي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤمِّلكَ لهذا اليوم، كنت أرجوك .. لا إله إلا الله، ثم قضى[٥].

- وروى البيهقي عن أبي محمد الجريري، قال: كنت واقفًا على رأس الجُنَيد في وقت وفاته، وكان يوم جمعة، وهو يقرأ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم، ارفق بنفسك، فقال: «يا أبا محمد، ما رأيت أحدًا أحوج إليه مني في هذا الوقت، وهو ذا تُطوى صحيفتي»[٦].

---

(١) «الحلية» (٥/ ٨٠).

(٢) «نفسه» (٢/ ٣٢٢).

(٣) «نفسه» (٥/ ٢١٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٧٤).

(٥) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٧٧) ط. الرسالة.

(٦) «شعب الإيمان» (٢٩٨٤) ط. الرشد.

- ودخل أبو العباس بن عطاء على الجُنَيْد وهو في النزع، فسلم عليه، فسكت، ثم رد عليه بعد ساعة، وقال: «اعذرني؛ فإني كنت في وِردي»، ثم أقبل وجهه إلى القبلة، وكبر، ومات[١].

- ولما نزلت بالإمام عبد الله بن إدريس الأَوْديِّ الوفاة بكت ابنته، فقال: «لا تبكي يا بنية، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف مرة»[٢].

- وجاء في ترجمة نجم الدين الغزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

.. ووقع له قبل موته بيومين أنه طلع إلى بساتينه أوقافِ جَدِّه، واستبرأ الذمة من الفلاحين، وطلب منهم المسامحة، وفي اليوم الثاني دار على أهله؛ ابنته، وبنتها وغيرهم، وزارهم، وأتى إلى منزله، وصلى المغربَ، **ثم جلس لقراءة الأوراد**، وأخذ يسأل عن أذان العشاء، وأخذ في ذكر **(لا إله إلا الله)** وهو مستقبل القبلة، ثم سُمِعَ منه وهو يقول: «بالذي أرسلك ارفق بي»، فدخلوا عليه فرأوه قد قضى نحبه، ولقيَ ربه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[٣].

- وعن الجنيد قال: سمِعتُ السَّرِيَّ يقول: «إذا فاتني جزء من وِردي لا يمكنني أن أقضيه أبدًا»[٤].

وفي «صفة الصفوة» علَّل ذلك الجنيد، فقال: كان سَرِيٌّ متصلَ الشغل، وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده. وكذا كان عمر بن الخطاب لم يكن له وقت

(١) «نفسه» (٢٩٨٣).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٤).
(٣) «المختار المصون من أعلام القرون» (٢/ ١١٣٤).
(٤) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٢٤).

ينام فيه، فكان ينعس وهو قاعد، فقيل له: يا أمير المؤمنين، ألا تنام؟ فقال: كيف أنام؟! إن نمت بالنهار ضيعت أمور المسلمين، وإن نمت بالليل ضيعت حظي من الله عَزَّوَجَلَّ.

- وعن هُشَيم قال: «لو قيل لمنصور بن زاذان: ملَكُ الموت على الباب، ما كان عنده زيادةٌ في العمل؛ وذلك أنه كان يخرج ويصلي الغداة في جماعة، ثم يجلس فيسبح حتى تطلع الشمس، ثم يصلي إلى الزوال، ثم يصلي الظهر، ثم يصلي العصر، ثم يجلس فيسبح إلى المغرب، ثم يصلي المغرب، ثم يصلي العشاء، ثم ينصرف إلى بيته فيكتب عنه في ذلك الوقت»[(١)].

- وقال الذهبي في ترجمة الرئيس الزيادي أبي المحاسن أسعد بن علي ابن الموفق: «ذكر السَّمْعاني أنه ثقة، صالح، عابد، دائم الأوراد، مستغرق الأوقات، يسرد الصوم»[(٢)].

- وعن مريمَ امرأةِ أبي عثمانَ قالت:

«كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في وِرده من الصلاة؛ فإنه كان إذا دخل بيت الخلوة لا يُحِسُّ بشيء من الحديث وغيره»[(٣)].

- وقال ابن وهب: قيل لأخت الإمام مالك: ما كان شُغلُ مالك في بيته؟ قالت: «المصحف والتلاوة»[(٤)].

(١) «شعب الإيمان» (٤/ ٥٣٢، ٥٣٣) رقم (٢٩٥٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢١٢).
(٣) «شعب الإيمان» (٢٩٥٩).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١١١).

- وعن الربيع بن سليمان، قال: «كان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد جزَّأ الليل ثلاثة أثلاث: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام»[١].

- وعن محمد بن مِسْعَرِ بن كدام، قال: «كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لف رداءه، ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذي ضلَّ منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك، والطهور، ثم يستقبل المحراب، فكذلك إلى الفجر، وكان يجهد على إخفاء ذلك جدًّا»[٢].

إن كان رضاكم في سهري

فسلام الله على وَسَني

- وقال الذهبي في ترجمة الإمام الفقيه أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي: «كان قدوة، صالحًا، عابدًا، قانتًا لله، ربانيًّا، خاشعًا، مخلصًا، عديم النظير، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر، والمروءة والفتوة والصفات الحميدة، قلَّ أن ترى العيون مثله»[٣].

- وقال في ترجمة بشر بن منصور الأزدي:

«قال الإمام أحمد: هو ثقة وزيادة. وقال ابن المديني: حفر قبره، وختم فيه القرآن، وكان وِردُه ثلث القرآن»[٤].

---

(١) «شعب الإيمان» (٢٩٦٠).

(٢) «الحلية» (٧/ ٢١٦).

(٣) «السير» (٢٢/ ٦).

(٤) «نفسه» (٨/ ٣٦٠).

- وفي ترجمة الإمام أبي منصور الخياط قال الذهبي: «قال السَّمْعاني: صالح، ثقة، عابد، ملقِّن، له وِردٌ بين العشائين بسبع، وكان صاحب كرامات». وفي الحاشية: أي: أنه كان يقرأ بين العشائين سُبعًا كاملًا من القرآن[١].

- وعن ابن المبارك، أن أبا مِجْلَزٍ كان يركب مع قُتَيْبَةَ بن مسلم في موكبه فيسبح الله اثنَيْ عشَرَ ألْفَ تسبيحة، ويَعُدُّها ببَنانه[٢].

- وعن الأحنف قال: جلست إلى أبي ذر وهو يسبح، فأقبل عليَّ، فقال: «إملاء الخير على خير أليس خيرًا؟»، قال: قلت: بلى أصلحك الله. ثم أقبل على تسبيحه، ثم قال: «والسكوت خير من إملاء الشر، أليس كذلك؟»، قلت: بلى. ثم قال: «وجليس الصالح خير من الوَحدة، أليس كذلك؟»، قلت: بلى. قال: «والوَحدة خير من جليس السوء، أليس كذلك؟»، قلت: بلى[٣].

وِحـــــدةُ الإنـــســـان خـيرٌ ... مـــن جـلـيـس الـســوء عـنـدَه

وجـلـيـسُ الخـــيرِ خـير ... مـــن قـعـود المـــرء وحْـــدَه

- وعن عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر، قال: بِتُّ عند أحمد بن حنبل، فوضع لي صاعرة ماء، قال: فلما أصبحت وجدني لم أستعمله، فقال: «صاحب حديث لا يكون له ورد بالليل؟»، قال: قلت: مسافر، قال: «وإن كنت مسافرًا، حجَّ مسروق فما نام إلا ساجدًا»[٤].

---

(١) «نفسه» (١٩/ ٢٢٣).

(٢) «شعب الإيمان» (٢/ ١٨٦) رقم (٧١٠).

(٣) «نفسه» (٧/ ٥٧، ٥٨) رقم (٤٦٣٨).

(٤) «نفسه» (٤/ ٥٣٤) رقم (٢٩٦٢).

- وفي القصة المشهورة لما أراد الإمام أحمد سماع الحارث المحاسبي... قال راوي القصة إسماعيل بن إسحاق السَّرَّاج: «... انصرفت إلى أبي عبد الله وأخبرته، فحضر بعد المغرب وصعِد غرفة في الدار، واجتهد في ورده إلى أن فرغ، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا...»[(١)].

- وفي ترجمة عبد الرحمن بن مَهْدي: «وكان وِردُه كل ليلة نصف القرآن»[(٢)].

- وفي ترجمة الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قرأ على ابن مالك كتابًا من تصنيفه، ولازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والأوراد والصيام والذكر والصبر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمةً كلية لا مزيد عليها»[(٣)].

- وقال الذهبي في ترجمة عائشة بنت رزق الله بن عوض أم أحمد المقدسية:

«مسنة معمِّرة، روت عن ابن عبد الدائم، وهي والدة شيختنا فاطمة بنت عبد الله بن عمر بن عوض، وكانت من العوابد ذوات البكاء والخشوع والأوراد»[(٤)].

- وقال الذهبي في ترجمة محمد بن أحمد بن تمام بن حسان:

«الشيخ العالم المقرئ الصالح الزاهد بركة الوقت أبو عبد الله التلي الصالحي الخياط الحنبلي... وتأدب بأدب السُّنة؛ من التقوى، والإخلاص، والتواضع،

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٢٥٣، ٢٥٤).
(٢) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٤٢).
(٣) «نفسه» (٤/ ١٧٤).
(٤) «معجم الشيوخ الكبير» (٢/ ٩٠).

والبشاشة، والأوراد، والحب في الله، والبغض في الله، والقناعة، والتعفف، واطِّراح التكلف، والصدق، والورع، فالله يبارك في عمره»[(١)].

- وقال الذهبي أيضًا في ترجمة محمود بن محمد بن أحمد بن مبادر: «الإمام الزاهد العابد الفقيه المقرئ الشافعي؛ كان كبير القدر، كثير التلاوة والأوراد، قانعًا متعففًا مهيبًا»[(٢)].

- وفي ترجمة حماد بن سلَمة: «كانت أوقاته معمورةً بالتعبد والأوراد»[(٣)].

- وفي ترجمة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ابن عَدِيٍّ قال: «سمِعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد إلى أقربائه بخَرْتَنْكَ، فسمِعته يدعو ليلة إذ فرغ من ورده: اللهم إنه قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحُبت، فاقبضني إليك، فما تم الشهر حتى مات»[(٤)].

- وقال حرب الكرماني في «مسائله»: سألت إسحاق بن راهويه، قلت: رجل له وِردٌ في شهر رمضان أو غيره، فيقرأ في الفريضة من وِرده؟ فكره ذلك، وقال: «لا؛ لأن سُنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غير ذلك»، وذكر قراءة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلوات المكتوبات[(٥)].

---

(١) «نفسه» (٢/ ١٤).

(٢) «نفسه» (٢/ ٣٣٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٤٧).

(٤) «نفسه» (١٢/ ٤٤٣).

(٥) كان من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفرائض أن يبتدئ القراءة من أول السورة، ويكملها في أغلب أحواله، وكان أحيانًا يقسمها في ركعتين.

- وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الفجر -غالبًا- بطوال المفصَّل (وآخره سورة الناس، وأوله سورة ق على الأصح)، نحو ستين إلى مائة آية، وأحيانًا بقصاره كالتكوير، وقرأ مرة المعوذتين، وقلما كان =

ثم قال حرب: حدثنا إسحاق، قال: أنبأنا جرير -ابن عبد الحميد الضبي- عن حمزة الزيات، أن عمرو بن مرة الجملي كان يقرأ على التأليف من حيث انتهى وِردُه في الفرائض».

- ونقل محمد بن الحكم عن الإمام أحمدَ بنِ حنبل في الرجل يفوته ورده من الليل قولَه: «لا يقرأ به في ركعتي الفجر؛ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخففهما، لكن يقرأ إذا أصبح، أرجو أن يُحسَب له بقيام الليل»[(١)].

- وقال عبد الله بن أحمد: كان أبي لا يفتر عن الركعات بين العشاءين ولا بعدها في ورده من صلاة الليل، وكان يسر القرآن، وربما جهر به»[(٢)].

- وقال الذهبي في «معرفة القراء الكبار» في ترجمة صافي بن عبد الله مولى ابن الخرقي: «مقرئ، مجود، عالي الإسناد، كثير التعبد والأوراد»[(٣)].

=يقرأ سورة واحدة في ركعتين معًا، فقد كرر الزلزلة مرة في الركعتين، وكان يصلي فجر الجمعة بالسجدة والإنسان كاملتين.

- وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في كلٍّ من ركعتي الظهر قدر ثلاثين آية، وكان -أحيانًا- يطيل القراءة في الظهر لا سيما الركعة الأولى منها.

- وفي العصر على النصف من قراءة الظهر إذا طالت، وبقدرها إذا قصرت، في كلٍّ من الركعتين قدْرَ خمسَ عَشْرةَ آيةً.

- وفي المغرب بقصار المفصَّل غالبًا، وأحيانًا بطواله وأوساطه، وقرأ في المغرب مرةً الأعراف فرَّقها في الركعتين، وصلاها مرة بالطور، ومرة بالمرسلات.

- وكان يقرأ في العشاءَ -مثلَ الظهر والعصر- من أوساط المفصل.

- وكان يقرأ في صلاة الجمعة سورتي (الجمعة) و(المنافقون)، أو (الأعلى) و(الغاشية).

- أما في العيد فقرأ (ق) و(اقتربت)، أو (الأعلى) و(الغاشية).

(١) «بدائع الفوائد» (٤/ ١٥٠٥، ١٥٠٦) ط. دار عالم الفوائد.

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥/ ٣٠٠).

(٣) «معرفة القراء الكبار» (ص٢٨٠).

- وقال ابن القيم في «الوابل الصيب»: «وحضرت شيخ الإسلام ابن تيميَّة مرةً صلَّى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ الغَداء سقطت قوَّتي. أو كلامًا قريبًا من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعد بتلك الراحة لذكرٍ آخَرَ. أو كلامًا هذا معناه»[(١)].

- وسُئل شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ عن رجل وقع عليه غسل ولم يكن معه في ذلك الوقت ما يدخل به الحمام، ويتعذر عليه الماء البارد؛ لشدة برده، ثم إنه تيمم وصلَّى الفريضة، وله في الجامع وظيفة، فقرأ فيها، ثم بعد ذلك دخل الحمام، هل يأثم؟ أم لا؟ فأجاب:

«الحمد لله رب العالمين. لا يأثم بذلك، بل فعل ما أُمر به؛ فإن من خاف إذا استعمل الماء البارد أن يحصل له صداع أو نزلة أو غير ذلك من الأمراض ولم يمكن الاغتسال بالماء الحار فإنه يتيمم -وإن كان جُنبًا- ويصلي عند جماهير علماء الإسلام: كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم، حتى لو كان له وِردٌ بالليل وأصابته جنابة والماء بارد يضره فإنه يتيمم ويصلي وِردَه التطوع، ويقرأ القرآن في الصلاة وخارج الصلاة، ولا يفوت ورده لتعذر الاغتسال بالماء»[(٢)].

- وقال في موضعٍ آخَرَ: «ومن كان له وِردٌ مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع وِردَه المشروع لأجل

(١) «الوابل الصيب» (ص٩٦). ط. دار عالم الفوائد.
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٤٤٢، ٤٤٣).

كونه بين الناس إذا عَلِم الله من قلبه أنه يفعله سرًّا لله، مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص، ولهذا قال الفُضَيل بن عياض: (ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك)»[(١)].

- وقال الذهبي في «السير» أيضًا: «للصادق أن يُقِلَّ من الكلام والأكل والنوم والمخالطة، وأن يكثر من الأوراد والتواضع، وذكر الموت، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله»[(٢)].

- وقال الإمام ابن نجيم: «وذكر الحلواني أنه لا بأس بأن يقرأ بين الفريضة والسُّنة الأوراد»[(٣)].

هكذا دار لفظ «الوِرد» على ألسنة العلماء والصالحين، وكأنه أمر معهود متعارَف عليه بينهم لم يختلفوا بشأنه.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ١٧٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٣٤).
(٣) «البحر الرائق» (٢/ ٥٢).

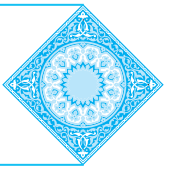

وِرْدُ الدعاء للوالدين في حياتهما وبعْدَ موتهما

الدعاء للوالدين في حياتهما وبعد موتهما من أعظمِ صوَر برِّهما، وقد دعا الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لوالِديهم، فقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ الآيةَ [نوح:٢٨]، ودعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه قبل أن يُنهى عن الدعاء له: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ الآيةَ [الشعراء:٨٦]، وقد قال تعالى لخليله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، وأَمْرُ القدوةِ أمرٌ لأتباعه.

وفي سياق أمر الأولاد بالإحسان إلى الوالدين قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤].

قال العلَّامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «في الآية الكريمة إيماءٌ إلى أن الدعاء للوالدين مستجاب؛ لأن الله أَذِنَ فيه»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا مات الإنسان**(٢) **انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(٣).

---

(١) «التحرير والتنوير» (١٥/ ٧٢).

(٢) أي: المؤمن؛ لحديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «**أما أبوك فلو كان أقرَّ بالتوحيد فصُمْتَ وتصدقت عنه نفعه ذلك**» رواه الإمام أحمد (٦٧٠٤)، وأبو داود (٢٨٨٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٨٤).

(٣) رواه مسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٢٥٧٦)، والإمام أحمد (٨٨٤٤).

وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يُعمَلُ به من بعده**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تُرفع للميت بعد موته درجة، فيقول: أي رب، أي شيء هذه؟ فيقال: ولدك استغفر لك**»(٢). أو: «**باستغفار ولدك لك**»، وفي رواية: «**بدعاء ولدك لك**»(٣).

- ويُروى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ جاءه رجل من بني سَلِمة، فقال: «يا رسول الله، هل بقيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شيءٌ أَبَرُّهما بعد موتهما؟»، فقال: «**نعم؛ الصلاةُ عليهما**(٤)، **والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرام صديقهما**»(٥).

وفي رواية عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ جاءه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، هل بقيَ عليَّ من بر أبوي شيءٌ بعد

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤، ٨٥)، والطبراني في «الصغير» (ص٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٣٦)، وابن ماجه (٣٦٦٠)، والإمام أحمد (١٠٦١٠)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩٨).

(٣) رواه البزار (٩٠٢٤)، والطبراني في «الدعاء» (١٢٤٩)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٧٨).

(٤) والصلاة هنا معناها: الدعاء لهما بالرحمة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٥٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، وابن حبان (٤١٨)، وضعَّفه الألباني في «الضعيفة» (٥٩٧).

موتهما أَبَرُّهما به؟ قال: «**نعم؛ خصالٌ أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قِبَلهما، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما**».

وشرط الدعاء للوالد بالرحمة أن يكون مسلمًا، أما الكافر فلا يُدعى له بالرحمة والمغفرة؛ لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذِنَ لي**»(١).

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلى ذلك فإذا كان والدَا المسلم ذِمِّيَّيْنِ استعمل الابن معهما ما أمره الله عَزَّوَجَلَّ به في قوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤]، أما الترحُّم لهما بعد موتهما على الكفر فهو منهيٌّ عنه» اهـ(٢).

ومن بر الوالد الكافر في حياته: الدعاء له بالهداية، والتوفيق إلى الإسلام.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم اهْدِ دَوْسًا، وأْتِ بهم**»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٦٧١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٢٤٤).

(٣) رواه البخاري (٢٩٣٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وهي مشركة، فدعوتُها يومًا فأسمعتني في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أكره، فأتيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أبكي، قلتُ: يا رسول الله، إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتُها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهديَ أمَّ أبي هريرة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم اهدِ أمَّ أبي هريرة**»، فخرجتُ مستبشرًا بدعاء نبي الله، فلما جئتُ فَصِرْتُ إلى الباب، فإذا هو مجافٍ، فسمِعَتْ أمي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتسلتْ، ولبِسَتْ درعَها، وعجلتْ عن خمارِها، ففتحتِ الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا اللهُ وأشهد أن محمدًا عبده ورسولُه، قال: فرجعتُ إلى رسول الله فأتيتُه وأنا أبكي من الفرح، قال: قلتُ: يا رسول الله، أبشِر، قد استجاب اللهُ دعوتَك وهدى أمَّ أبي هريرة، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه وقال خيرًا، قال: قلتُ: يا رسول الله، ادعُ اللهَ أن يحبِّبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ حبِّب عُبيْدَك هذا** -يعني: أبا هريرة- **وأمَّه إلى عبادك المؤمنين**»، فما خُلِق مؤمنٌ يسمع بي ولا يراني إلا أحبَّني»[(١)].

ومِن ثَم كان أبو هريرة يدعو لأمه بالرحمة بعد أن أسلمت:

فعن أبي مرَّة مولى أمِّ هانئ بنت أبي طالب: أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضَه صاح بأعلى صوتِه: «عليكِ السلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه

(١) رواه مسلم (٢٤٩١).

يا أُمَّتاه»، تقول: «وعليكَ السلام ورحمة الله وبركاته»، يقول: «رَحِمَكِ الله كما ربَّيتِني صغيرًا»، فتقول: «يا بُني، وأنت جزاك الله خيرًا ورضي عنك كما بررتني كبيرًا»[(١)].

وعن محمد بن سيرينَ قال: كنا عند أبي هريرة ليلة فقال: «اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمِّي، ولِمَن استغفر لهما»، قال محمد بن سيرين: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة[(٢)].

ومن البر بالوالدين أن يخصَّهما الولد بورد «شخصي» يمحض فيه الدعاء لهما، ويكرره بالعدد الذي يناسبه[(٣)].

وأفضل صيغة للدعاء للوالدين ما جاء في كلام المَلِك عَزَّوَجَلَّ الذي هو مَلِكُ الكلام، كأن يقول:

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ [إبراهيم:٤١].

﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:٢٤].

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٤)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» رقْم (١١).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٧)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٢٨).

(٣) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جاء أثرٌ عن بعض السلف: أنه (مَن قال كلَّ يوم سبعين مرةً: ربِّ اغفر لي ولوالديَّ، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، حصل له من الأجر بعدَد كلِّ مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة).

ولا تستبعد هذا؛ فإنه إذا استغفر لإخوانه، فقد أحسن إليهم، والله لا يضيعُ أجر المحسنين» اهـ. من «الروح» (٢/ ٣٩٧)، وقال المحقق: «لم أجد هذا الأثر، لكن المصنف ذكر في (مفتاح دار السعادة) **أن بعض السلف كان يستحب لكل أحد أن يداوم على هذا الدعاء كل يوم سبعين مرة، فيجعل له منه وردًا لا يُخِلُّ به**» (١/ ٢٩٨).

وقد أخرج الطبراني بإسناد جيد عن عبادة بن الصامت مرفوعًا: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**»، قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٢).

ولقد كان السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ يواظبون على الدعاء للوالدين:

- فعن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: «مات أبي، فما سألتُ الله -حولًا- إلا العفوَ عنه»[١].

- وكان عروة بن الزبير يقول في صلاته -وهو ساجد-: «اللهم اغفر للزبير ابن العوام، وأسماءَ بنتِ أبي بكر» يعني: والديه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢].

- وكان الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ بَرًّا بوالديه، وكان يدعو لهما، ويستغفر لهما مع شيخه حماد، وكان يتصدق كل شهر بعشرين دينارًا عن والديه[٣].

- وكان أبو يوسفَ الفقيهُ يقول عَقِيبَ صلاته: «اللهم اغفر لأَبويَّ، ولأبي حنيفة»[٤].

(١) «عيون الأخبار» (٣/ ٩٨).

(٢) «بر الوالدين» للطرطوشي (ص٧٧).

(٣) «أبو حنيفة النعمان» للشيخ وهبي غاوجي الألباني (ص١٠٢).

(٤) «بر الوالدين» للطرطوشي (ص٧٧).

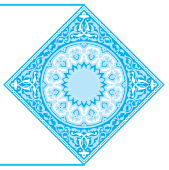

مداومة السلف والصالحين على الدعاء للمشايخ والأهلين والذرية والإخوان في الله

خصَّص بعض السلف وِردًا للدعاء لوالديه ومشايخه وإخوانه في الله.

فعن أم الدرداء قالت: كان لأبي الدرداء ستون وثلاثمائة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: «إنه ليس رجل يدعو لأخيه في الغيب إلا وكَّل الله به ملَكين يقولان: ولك بمثل؛ أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة؟!»[(١)].

وعن معاوية بن قُرَّة: قال أبو الدرداء: «إني لأستغفر لسبعين من إخواني في سجودي، أسميهم بأسماء آبائهم»[(٢)].

وقد روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوريُّ بإسناده: «أن عبد الله بن المبارك كان إذا ختم القرآن؛ أكثر من دعائه للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات»[(٣)].

وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما مددتُ رِجلي نحو دارِ أستاذي حماد؛ إجلالًا له، وكان بين داري وداره سبعُ سِكك، وما صليتُ صلاةً منذ مات حماد إلا استغفرتُ له مع والديَّ، وإني لأستغفر لمن تعلمتُ منه أو علَّمني علمًا»[(٤)].

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٥١).
(٢) «نفسه» (٩/ ٥٥).
(٣) «شعب الإيمان» (٢٠٤٦).
(٤) «مناقب الإمام أبي حنيفة» للخوارزمي (٢/ ٧).

وقال أبو يوسفَ تلميذُ أبي حنيفةَ: إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبويَّ، ولقد سمِعت أبا حنيفة يقول: «إني لأدعو لحمادٍ مع أبويَّ».

وقال ابن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَلَّ ليلة إلا وأنا أدعو فيها لمن كتب عنا، ولمن كتبنا عنه»[(١)].

وعن عمرو بن عليٍّ الفلَّاس، قال: «كان يحيى بن سعيد القَطَّانُ يختم القرآن في كل يوم وليلة، ويدعو لألف إنسان من أهل العلم وإخوانه، ثم يخرج بعد العصر فيحدِّث الناس»[(٢)].

وقال الحارث بن سريج: سمِعت يحيى القَطَّانَ يقول: «أنا أدعو الله للشافعي، أخصه به».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الذي ترون، كلُّه أو عامَّته من الشافعي، وما بِتُّ منذ ثلاثين سنةً إلا وأنا أدعو الله للشافعي، وأستغفر له»[(٣)].

وقال ابن أبي حاتم: رأيت في كتاب عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني -المعروف بِرُسْتَه- إلى أبي زُرْعةَ بخطه: «اعلم -رحمك الله- أني ما أكاد أنساك في الدعاء لك ليلي ونهاري: أن يمتَّع المسلمون بطول بقائك؛ فإنه لا يزال الناس بخير ما بقيَ مَن يعرف العلم، وحقَّه من باطله... وقد جعلك الله منهم»[(٤)].

---

(١) «فتح المغيث» (٢/ ٣٠١).
(٢) «الثقات» لابن حبان (٧/ ٦١١، ٦١٢)، و«السير» للذهبي (٩/ ١٧٧، ١٧٨).
(٣) «تهذيب التهذيب» (٩/ ٢٥).
(٤) «الجرح والتعديل» (١/ ٣٤١).

وسأل رجل الإمام أحمد فقال: «بالري -مدينة بالمشرق- شاب يقال له: أبو زُرْعة»، فغضِب أحمد، وقال: «تقول: شاب؟» -كالمنكِر عليه-، ثم رفع يديه، وجعل يدعو الله عَزَّوَجَلَّ لأبي زرعة، ويقول: «اللهم انصره على مَن بغى عليه، اللهم عافِه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم... اللهم...» في دعاء كثير[١].

وقال عبد الله بن أحمد: «ربما سمِعت أبي في السَّحَر يدعو لأقوام بأسمائهم».

ودخل قوم على الإمام أحمد في مرضه، وجعلوا يَخُصُّونَه بالدعاء، فجعل يقول: «قولوا: ولجميع المسلمين»[٢].

وعن عبد الله بن الخطيب: أن الطيب بن إسماعيل أبا حمدونَ، وهو أحد القُرَّاء المشهورين، كان له صحيفةٌ فيها مكتوب ثلاث مئة من أصدقائه، وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركهم ليلة فنام، فقيل له في نومه: «يا أبا حمدون، لِمَ لَمْ تُسْرِجْ مصابيحَك الليلةَ؟»، قال: فقعد فأسرج، وأخذ الصحيفة فدعا لواحدٍ واحد حتى فرغ[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رُوي عن طائفة من السلف: (عند كل ختمة دعوة مجابة)، فإذا دعا الرجل عَقِيبَ الختم لنفسه، ولوالديه، ولمشايخه، وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات؛ كان هذا من جنس المشروع، وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل، وغير ذلك من مواطن الإجابة» اهـ[٤].

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٣٠).
(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٥٤٤).
(٣) «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٦١).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٢٢).

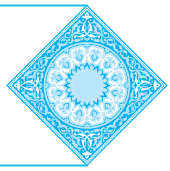

الـورِد العلمي

كان لكثير من العلماء عنايةٌ خاصةٌ بكتب معينة ينتخبونها، وينكَبُّون عليها، ويسامرونها، ويُدمنون على قراءتها وإقرائها قراءة الحالِّ المُرْتَحِل، ويعكفون على تدبرها واستنباط الفوائد منها، ويختمونها دومًا كأي ورد يواظب عليه العُبَّادُ السالكون، وذلك دون أن يزاحم «الوردُ العلمي» الوردَ القرآني، ومن هذه الكتب:

١- «الموطأ» للإمام مالك (ت ١٧٩هـ)، وقد كان الشافعي (ت ٢٠٤هـ) يُدمِن النظر فيه، ويقول: «ما نظرتُ في موطأ مالك إلا ازددتُ فَهمًا»[(١)].

٢- «الرسالة» للإمام الشافعي، وقد كان تلميذه الإمام المُزَنيُّ شديدَ التعلق بهذا الكتاب، حتى قال: «أنا أنظر في كتاب (الرسالة) منذ خمسين سنةً، ما أعلم أني نظرتُ فيه مرةً إلا وأنا أستفيد شيئًا لم أكن عرَفته»[(٢)].

٣- «الجمع بين الصحيحين» لعبد الحق الأشبيلي، وقد رتَّبه على أبواب الفقه لا على المسانيد كما فعل الحميدي في «الجمع بين الصحيحين»، وللشيخ صالح الشامي «الجامع بين الصحيحين».

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٧٠).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/ ٩٩).

وكان أحمد بن محمد بن خلف القاضي العلامة، نجم الدين، أبو العباس المقدسي (ت ٦٣٨هـ) يقرأ كل ليلة ثلث القرآن، ومن جملة محفوظاته «الجمع بين الصحيحين» للحميدي[١].

وكان إدمان «الصحيحين» و«الشفا» للقاضي عياض متفشيًا في بعض العلماء: فقد أدمن علي بن أيوب بن إبراهيم نور الدين البرماوي المكي الشافعي مطالعة الصحيحين والشفا[٢].

وقال السخاوي في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن خليل موفق الدين أبي ذر ابن الحافظ البرهان أبي الوفا: «وأدمن قراءة الصحيحين والشفا، خصوصًا بعد وفاة والده، وصار متقدمًا في لغاتها ومبهماتها وضبط رجالها، لا يشذ عنه من ذلك إلا النادر»[٣].

وقال الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ»:

«... فلقد تفانى أصحاب الحديث وتلاشوا، وتبدل الناس بطلبة يهزأ بهم أعداء الحديث والسنة، ويسخرون منهم، وصار علماء العصر في الغالب عاكفين على التقليد في الفروع من غير تحرير لها، ومكبين على عقليات من حكمة الأوائل وآراء المتكلمين من غير أن يتعقلوا أكثرها؛ فعمَّ البلاء، واستحكمت الأهواء، ولاحت مبادي رفع العلم وقبضه من الناس.

(١) «الوافي بالوَفَيات» (٣/ ٣٨).
(٢) «الضوء اللامع» (٥/ ١٩٥).
(٣) «نفسه» (١/ ١٩٩).

فرحم الله امرَأً أقبل على شأنه، وقصر من لسانه، وأقبل على تلاوة قرآنه، وبكى على زمانه، وأدمن النظر في الصحيحين، وعَبَدَ الله قبل أن يبغته الأجل. اللهم فوفِّق وارحم»[١].

- وذكر الإمام غالب بن تمام بن عطية المحاربي (ت ٥١٨هـ) أنه كرَّر «صحيح البخاري» سبع مئة مرة[٢].

- وأتى الشرجي على «صحيح البخاري» ثمانين ومئتي مرة، قراءةً وإقراءً وإسماعًا[٣].

- وقرأ أبو بكر بن مقبل القاهري المعروف بالتاجر (ت ٨٠٥هـ) «صحيح البخاري» خمسًا وتسعين مرةً إلى سنة (٧٨٠هـ)، وقرأه بعد ذلك مرارًا كثيرة[٤].

- وكاد أبو القاسم بن علي بن مسعود الشاطبي يحفظ «صحيح البخاري» من كثرة التَّكرار له في كل رمضان[٥].

- وكان المحدِّث أبو سعيد إسماعيل بن عمرو بن محمد البَحِيري النيسابوري (ت ٥٠١هـ) يقرأ دائمًا «صحيح مسلم» على أبي الحسين عبد الغافر للغرباء والرحالة والفقهاء، فقرأه أكثر من عشرين مرةً، بعد أن قرأه قبله على الفقيه الحسن ابن أحمد بن السمرقندي الحافظ أكثر من ثلاثين مرة[٦].

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٨٦).
(٢) «الصلة» لابن بشكوال (٢/ ٤٣٣).
(٣) «فهرس الفهارس» (٢/ ١٠٤٤).
(٤) «الضوء اللامع» (١١/ ٧٩).
(٥) «درة الحجال» (٣/ ٢٨٥).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٢٧٢، ٢٧٣).

٤- كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، وهو الكتاب المؤسِّس لعلم النحو، وعمدة دراسته في شتى القرون[١].

- وقد كان أبو عثمان المازنيُّ (ت ٢٤٧هـ) شديدَ التعلُّق بـ «كتاب» سيبويه حتى قال: «ما أخلو في كلِّ زمنٍ من أعجوبة في كتاب سيبويه»[٢].

- وكان عبد الله بن محمد بن عيسى الأندلسي «يختمُ كتابَ سيبويه كلَّ خمسةَ عشرَ يومًا مرَّةً»[٣].

- ووُجد في آخرِ بعض كتب عباس بن الوليد الفارسي (ت ٢١٨هـ) أنه كتب: «درستُه ألفَ مرة»[٤].

- وقال بعضهم لأبي هاشم الجبائي (ت ٣٢١هـ): ما أحسن جَمْعَكَ لمعاني كتب أبي علي (٣٠٣هـ) -وهو الجبائي، والدُ أبي هاشم- واختصارَك لكلامه! فقال: «**قد دُسْتُ كتبَه دَوْسًا، وأكلتُها وشرِبتُها دَرْسًا؛ فعرفتُها ظهرًا وبطنًا**»[٥].

---

(١) ولما حُدِّث المبرِّدُ (ت ٢٨٥هـ) بقول أبي عمر الجرمي (ت ٢٢٥هـ): «أنا مذ ثلاثين سنةً أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه»، وكان محدِّثُه متعجِّبًا مستنكرًا، قال له المُبرِّدُ: «أنا سمعت الجرميَّ يقول هذا، وذاك أن أبا عمر كان صاحبَ حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الدين والحديث، إذ كان ذلك -يعني: كتاب سيبويه- **يُتعلَّم منه النظر والتفتيش**» اهـ. من «مجالس العلماء» للزجاجي (ص١٩١).

قال الشاطبي (٧٩٠هـ) معلقًا: «المراد بذلك أن سيبويه وإن تكلَّم في النحو، فقد نبَّه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في كل بابٍ ما يليقُ به، حتى إنَّه احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني» اهـ. من «الموافقات» (٥/ ٥٤).

(٢) «خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٣٧١).

(٣) «الوافي بالوفيات» للصفدي (١٧/ ٥٣٧).

(٤) «طبقات علماء أفريقية وتونس» (ص٢٢٤).

(٥) «الحث على طلب العلم» للعسكري (ص٣٤).

- وكان يحيى بن هلال القرطبي (ت ٣٦٧هـ) يجلس كل يوم لاستماع «المدونة» من الظهر إلى الليل، فيستوعب قراءتها كل شهرين، وتمادى على ذلك عُمُرَه[١].

٥- ودرس ابنُ التَّبَّانِ (ت ٣٧١هـ) كتابًا ألف مرة، وهو «المدونة»[٢].

٦- وقال الإمام أبو بكرٍ الأبهري (ت ٣٧٥هـ): «قرأتُ مختصر ابن عبد الحكم خمس مئة مرة، والأسدية خمسًا وسبعين مرة، والمبسوط ثلاثين مرة»[٣].

٧- وكان الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) يخرج إلى المسجد يوم الأربعاء ومعه «نهاية المطلب في دراية المذهب»[٤] في فقه الشافعية لإمام الحرمين الجويني، فيمكث بالمسجد يوم الأربعاء، ويوم الخميس، ويوم الجمعة إلى قُبيل الصلاة، فينظر في هذا الوقت «النهاية»[٥].

٨- وكان شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) **حفيًّا بـ «التعليقة» للقاضي أبي يعلى** (ت ٤٥٨هـ)، حتى كان يطلب من طلابه **إحضارها إليه في السجن**، فكتب إليهم مرَّةً في جملة ما طلبه منهم: «... وترسلون أيضًا من تعليق القاضي أبي يعلى الذي بخط القاضي أبي الحسين، إن أمكن الجميع، وهو أحدَ عشر مجلَّدًا، وإلَّا فمن أوَّله مجلَّدًا، أو مجلَّدين، أو ثلاثة»[٦].

---

(١) «ترتيب المدارك» (٦/ ٣٠١).

(٢) «نفسه» (١/ ٧٨).

(٣) «نفسه» (٦/ ١٨٦).

(٤) وقد صدر في مقدمة، وتسعة عشر مجلدًا، طبعته وزارةُ الأوقاف بقطر (١٤٢٨هـ)، وقضى محققه العلامة الأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خدمته ما يربو على خمس وعشرين سنة، ووصفه بأنه «نتيجة عمري، وثمرة فكري في دهري».

(٥) «لحظ الألحاظ» لابن فهد (ص٢٠١).

(٦) «العقود الدرية» لابن عبد الهادي (ص٣٤٩).

٩- وكان الزَّرِيرانيُّ الحنبليُّ (ت ٧٢٩هـ) يُدِيمُ النظر في «**المغني**» لابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)، حتى (ذكر أَنَّهُ طالع «المغني» ثلاثًا وعشرين مرَّة، وكان يستحضرُ كثيرًا منه أو أكثرَه)[١].

١٠- وكذلك كانت الناسكةُ أمُّ زينب فاطمة البغداديَّة (ت ٧١٤هـ)، فقد قال عنها ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): «كانت من العالمات الفاضلات، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحمدية في مؤاخاتهم النساء والمردان، وتنكِرُ أحوالَهم وأحوالَ أهل البدع وغيرهم، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال، كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاستفادت منه ذلك وغيرَه، وقد سمعتُ الشيخَ تقيَّ الدين يُثني عليها، ويصفُها بالفضيلة والعلم، ويذكرُ عنها **أنها كانت تستحضر كثيرًا من «المُغني» أو أكثرَه**، وأنه كان يستعِدُّ لها من كثرةِ مسائلها، وحسنِ سؤالاتها، وسرعةِ فَهمها»[٢].

١١- واختصَّ تاجُ الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) بـ«**شرح الوجيز**» للرافعي (ت ٦٢٣هـ)، وكان يقول: «**هو كتابُنا، ونحن نَدْأَبُ فيه ليلًا ونهارًا**»[٣].

١٢- وقال عبد الله بن محمد بن فَرْحُون اليَعْمَرِي (ت ٧٦٩هـ): «لازمتُ تفسير ابن عطية حتى كِدتُ أحفظه»[٤].

١٣- وقرأ إبراهيم بن حجاج الأبناسي (ت ٨٣٦هـ) «أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك» لابن هشام أكثر من سبعين مرة[٥].

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٥/ ٢).
(٢) «البداية والنهاية» (١٨/ ١٤٠، ١٤١).
(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ١٩٩).
(٤) «درة الحجال» (٣/ ٥٠).
(٥) «الضوء اللامع» (١/ ٣٨).

١٤- وأكثر عثمان بن عبد الله المَقْسي (ت ٨٧٧هـ) من ملازمة المرور على الكتب الأربعة: «التنبيه» و«المنهاج» و«البهجة» وأصلها، قراءةً وإقراءً، حتى صارت له بها ملكة قوية[١].

١٥- ومرَّ علي بن عبد الواحد الأنصاري السِّجِلْماسي (ت ١٠٥٧) على كتاب «الكشاف» من أوله إلى آخره ثلاثين مرة، منها قراءة ومنها مُطالعة[٢].

١٦- وأدمن مطالعة «الفروع» لابن مفلح: عليُّ بن أحمد بن وجيه نور الدين ابن الششي، بحيث كان يأتي على أكثرها عن ظهر قلب[٣].

١٧- واشتهر أحمد بن عمر الناشري اليماني بمعرفة كتاب «الوسيط» للغزالي، حتى كان يعرف أين مكان المسألة فيه، وفي أي صفحة هي، بعد أن أصيب بالعمى[٤].

١٨- وكان أبو بكر بن علي الفخر الزُّنْقُلِي يُدمن النظر في «الروض الأُنُف» في السيرة[٥].

١٩- وكان العلامة الفقيه الشافعي محمد نجيب المطيعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يتوقف عن ختم كتاب «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كوردٍ ثابت لا ينقطع عنه.

---

(١) «الضوء اللامع» (٥/ ١٣١).
(٢) «خلاصة الأثر» (٣/ ١٧٣).
(٣) «الضوء اللامع» (٥/ ١٨٨).
(٤) «هِجَر العلم ومعاقله في اليمن» (٤/ ٢١٦٧).
(٥) «الضوء اللامع» (١١/ ٦١).

وقد بلغ الحال ببعض العلماء أنه نُسِب إلى كتابٍ؛ لفرط عنايته به:

- فقد لُقِّب الشيخ الفقيه جمال الدين أحمد بن محمد الواسطي الأُشْمومي الشافعي (ت ٧٢٩هـ) بـ«الوجيزي»؛ لحفظه كتاب «الوجيز» للغزالي، وعنايته به[(١)].

- ولُقِّب الإمام الزركشي (ت ٧٩٥هـ) بـ«المنهاجي»؛ نسبةً إلى «منهاج الطالبين» للإمام النووي؛ لفرط عنايته به، وإتقانه له فَهمًا وشرحًا[(٢)].

- ونُسب أبو عبد الله محمد بن سليمان الرومي الحنفي (ت ٨٧٩هـ) لكتاب «الكافية» لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، فصار يُعرف بالكافِيَجِيِّ!

ومن المصنفات الجديرة بأن يُدمِن الإنسان مطالعتها:

- «رياض الصالحين» للإمام النووي[(٣)].

---

(١) «أعيان العصر» (١/ ٣٧٩).

(٢) «إنباء الغمر» (٣/ ١٣٨).

(٣) ومكانة هذا الكتاب المبارك بين كتب الحديث، وفي أفئدة الناس لا تخفى؛ لأنه قد شاع خبره وذاع، ووصل إلى جُلِّ الأسماع أنه كتاب هداية وإرشاد «قد جمع ما يحتاج إليه السالك في سائر الأحوال، واشتمل على ما ينبغي التخلُّق به من الأخلاق، والتمسُّك به من الأقوال والأفعال، مغترفًا له من عباب الكتاب والسنة النبوية، ناقلًا لتلك الجواهر من تلك المعادن السَّنية» اهـ. من «دليل الفالحين» لابن علان (١/ ١٤).

ولقد تعجب الناس من هذا القَبول الذي حظيت به مؤلفات الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتى قال قائل: «يا ليتني أعلم السر الذي بين النووي وبين الله عَزَّوَجَلَّ حتى وضع لكتبه هذا القَبول بين الناس!».

وقال الإمام السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ترجمته»: «وعمَّ النفعُ بتصانيفه، وانتشر في الأقطار ذكرُها، وأكبوا على تحصيلها، حتى رأيتُ مَن كان يَشْنؤها في حياته مجتهدًا في تحصيلها والانتفاع بها بعد مماته. (قلت) قال اليافعي: ولقد بلغني أنه حصلت له نظرة جمالية من نظرات الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد موته فظهرت بركتها على كتبه، فحظيت بقَبول العباد، والنفع في سائر البلاد. وقال العثماني قاضي صفد في ترجمته من «طبقات الشافعية» له: سمعت الخطيب جمال الدين محمود بن جملة =

قال الحافظ الذهبي: «فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في «الصحيحين»، وسنن النسائي، ورياض النواوي وأذكاره[١]، تُفْلِحْ وتُنجح»[٢].

- «زاد المعاد»[٣] للإمام المحقق ابن قيِّم الجَوزية.

***

وعلى أية حال فإن باب «الوِرد العلمي» بابٌ واسع، فيبقى هذا الباب مفتوحًا حسَب وجهة كل طالب علم وحاجته وطاقته ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

ولـلـنـاس فـيـمـا يـعـشـقـون مـذاهـبُ

=الخطيب بالجامع الأموي يقول بحضرة جماعة من مشايخ العصر: إنه سمع من شخص يخاطبه، وهو بين النائم واليقظان: إن الله أفاض على النووي في قبره فيضًا، فصرف ذلك الفيض إلى كتبه، فمِن ثمَّ شاعت وذاعت» اهـ. (ص١٦).

(١) وقد قال الحافظ السخاوي: «ورياض الصالحين والأذكار جليلان لا يُستغنى عنهما» اهـ. من «ترجمة الإمام النووي» له (ص١٢)، وانظره (ص١٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٤٠).

(٣) قال الشيخ أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ عن «زاد المعاد»: «إنه حَلَّ مني محلًّا عظيمًا، فكأنه مكتبتي ورفيقي في السفر، ومشرفي وأستاذي، وبدا لي كممثل بارع عظيم للمكتبة الدينية العامرة، يملأ الفراغ إذا حرمتُ من الاتصال بهذه المكتبة الزاخرة، إنه علَّمني طريقة الصلاة المأثورة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقَّنني الأدعيةَ والأذكارَ المأثورة، وهداني إلى آداب السفر، وبه عرفت كيف أقضي نهاري وليلي في ضوء السيرة النبوية» اهـ. من «شخصيات وكتب» (ص١٥٤).

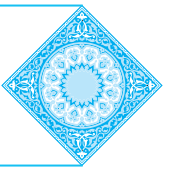

الأوراد بين السنة والبدعة
الحث على الاتِّباع، وذم الابتداع

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ الآية [النساء:١٧١].

قال قتادة: لا تبتدعوا.

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ**»، وفي رواية: «**مَن عَمِلَ عملًا ليس عليه أَمْرُنا فهو رَدٌّ**»(١).

وكان يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبة يوم الجمعة مكررًا تحذيره من الابتداع: «**أما بعدُ، فإن خير الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد، وشرَّ الأمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ بدعة ضلالة**»(٢)، فلم يستثنِ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي بدعة، بل أطلق وعمم.

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٢) رواه مسلم (٨٦٧)، وغيره من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسُنَّتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمور؛ فإن كل مُحْدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»(٢).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كيف أنتم إذا لبستم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سُنة، إذا تُرِك منها شيء قيل: تُرِكت السُّنة! قالوا: متى ذلك؟ قال: إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت أمناؤكم، والتُمِسَت الدنيا بعمل الآخرة، وتُفُقِّهَ لغير الدِّين»(٣).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبعوا، ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم، وكل بدعة ضلالة»(٤).

* * *

لا ترتفع بدعة إلا على أنقاض سُنَّة:

من شؤم البدعة أن الاشتغال بها يؤدي إلى الإعراض عن السنة، ولقد التزم الصوفية أورادهم المُحْدَثة كأنها سنة راتبة تضاهي الأدعية الشرعية، حتى صار كثير منهم لا يعرفون غيرها، ويجهلون الأدعية المأثورة؛ لأن القلوب متى اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن:

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وغيرهم، وصححه ابن حبان، والحاكم والذهبي وصححه، والألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٧).

(٢) رواه الدارمي (٢٢٣)، والحاكم (١/ ١٠٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صلاة التراويح» (٦).

(٣) رواه الدارمي (١/ ٥٨)، والحاكم (٤/ ٥١٤)، وصححه الألباني في «صلاة التراويح» (٥).

(٤) أخرجه الدارمي (١/ ٦١).

قال حسان بن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سُنتهم مِثلَها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة»[(١)].

ورُوي عن غُضَيف بن الحارث الثُّمالي، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أحدث قوم بدعةً إلا رُفِع مِثلُها من السنة**» ، فتمسُّكٌ بسُنة خير من إحداث بدعة[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان هذا جواب هذا الصحابي في أمر له أصل في السنة[(٣)]، فما ظنك بما لا أصل له فيها، فكيف بما يشتمل على ما يخالفها؟!»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وهكذا أهل البدع، لا نجد أحدًا ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة، ولا نجد صاحب بدعة إلا ترك شيئًا من السنة؛ كما جاء في الحديث: «**ما ابتدع قوم بدعة إلا وتركوا من السنة مثلها**»، رواه الإمام أحمد. وقد قال تعالى: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة:١٤] فلما تركوا حظًّا مما ذُكِّروا به اعتاضوا بغيره، فوقعت بينهم العداوة والبغضاء»[(٥)].

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤٤).

(٢) رواه الإمام أحمد رقم (١٦٩٧٠)، وقال المحققون: «إسناده ضعيف؛ لضعف أبي بكر بن عبد الله» (٢٨/ ١٧٢).

(٣) وهو رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة.

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٣).

(٥) «الإيمان» (ص١٥٣).

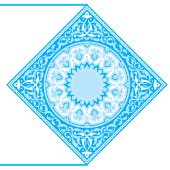

الأدعية الراتبة[١] توقيفيَّة فيُحظر الابتداعُ فيها

* عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: (اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت)، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به**». قال: فرددتها على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بلغت: «**اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت**» قلت: ورسولك، قال: «**ونبيك الذي أرسلت**»[٢]، فهذا يدل على عدم جواز تبديل ألفاظ الأذكار المأثورة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «... واختار المازَري أن سبب الإنكار أن هذا ذكر ودعاء، فينبغي فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه»[٣].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَولى ما قيل في الحكمة في ردِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من قال: الرسول بدل النبي: أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائصُ وأسرارٌ

---

(١) وهي الأدعية الموظفة التي تتكرر، ويلازمها المكلف، أو هي التي تختص بوقت معين أو صفة معينة، أما مطلق الأدعية التي تحصل من المكلف بدون تحرٍّ وملازمة فهي ليست توقيفية، والأفضل فيها الالتزام بالمأثور، انظر (ص١٦٨).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(٣) «شرح النووي لصحيح مسلم» حديث رقْم (٢٧١٠).

لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به... فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أُوحيَ إليه بهذه الكلمات؛ فتعيَّن أداؤها بحروفها»[(١)].

وقال العلامة الألباني -قدَّسَ الله رُوحَه، ونوَّر ضريحه-:

«فيه -أي: في هذا الحديث- تنبيه قوي على أن **الأوراد والأذكار توقيفية، وأنه لا يجوز فيها التصرف بزيادة أو نقص، ولو بتغيير لفظ لا يفسد المعنى؛ فإن لفظ «الرسول» أعَمُّ من لفظةَ «النبي»، ومع ذلك ردَّه النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، مع أن البراء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قاله سهوًا لم يتعمده! فأين منه أولئك المبتدعة الذين لا يتحرجون من أي زيادة في الذكر أو نقص منه، ونحوهم أولئك الخطباء الذين يبدلون من خطبة الحاجة زيادةً ونقصًا، وتقديمًا وتأخيرًا؟!**»[(٢)].

* وشَبَّه الصحابة تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياهم بعض الأدعية بتعليمه إياهم القرآن، ووجه الشبه هنا أنها تُحفظ وتنقل نقلًا حرفيًّا، ولا تُغير ولا تُبدل.

ففي حديث الاستخارة: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلِّها كما يعلمنا السورة من القرآن».

فقد قيل في وجه هذا التشبيه: إن ذلك في تحفظ حروفه، وترتيب كلماته، ومنع الزيادة والنقص منه، والدرس له، والمحافظة عليه.

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم،**

(١) «فتح الباري» (١١/ ١١٢).

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٣٨٨) التعليق على حديث رقْم (٦٠٣).

وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[(١)].

قال الباجي شارح «الموطأ»: «قوله: (كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة) دليل على تأكيده، وما ندب إليه من تحفظ ألفاظه»[(٢)].

* وقد وردت أحاديثُ في بعض الأدعية فيها تقييد الأجر وتعليق الثواب على لفظ معين: «من قال كذا؛ فله كذا»، فمن لم يأتِ بهذا اللفظ عَيْنِه لا يشمله ظاهر الحديث، فلو لم يكن هناك سر وحكمة في تلك الألفاظ المعينة لما قيَّد ترتب الثواب والأجر عليها ترتب الجزاء على الشرط.

قال بعض العلماء: «إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلوات إذا رُتِّب عليها ثوابٌ مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له الثواب المخصوص، لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد»[(٣)].

وعلل ذلك بعضهم بأن «من شأن العظماء إذا حَدُّوا شيئًا أن يُوقَف عنده، ويُعد الخارجُ عنه مسيئًا للأدب، ومثَّل ذلك بعضهم بالدواء إذا زِيد على وصف الطبيب لا يحصل الانتفاع به، بل ربما يضر»[(٤)].

* وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «علمني دعاء أدعو به في صلاتي»، قال: «**قل: اللهم إني**

(١) رواه مسلم (٥٩٠).
(٢) «المنتقى» (١/ ٣٥٨).
(٣) «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» للشيخ جيلان العروسي (٢/ ٥٧٨).
(٤) «فتح الباري» (٢/ ٣٣٠).

ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[(١)].

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: يا رسول الله، علمني ما أقول إذا أصبحت، وإذا أمسيت، فقال: «**يا أبا بكرٍ، قُلْ: اللهم فاطر السموات والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكَه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان الرجيم وشركه، وأن أقترفَ على نفسي سوءًا، أو أَجُرَّه إلى مسلم**»[(٢)].

هكذا طلب بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أفصح من نطق بالضاد الذي أُوتي جوامع الكلم- أن يعلمهم ما يدعون به من الصيغ، ولم يَدْعوا من تلقاء أنفسهم مع أنهم كانوا الغاية في الفصاحة والبلاغة؛ لأنهم علِموا أن الدعاء عبادة تحتاج توقيفًا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) رواه البخاري في «الأدب» (١٢٠٤)، والترمذي (٣٥٢٩)، والطبراني في «الدعاء» (٢٨٩)، وحسَّنه الحافظ في «نتائج الأفكار»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٥٣).

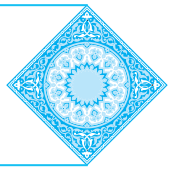

نصوص العلماء في الحث على المأثور من الدعاء وتجنب الأوراد المُحْدَثة

١- حين وضع بعض الناس كتبًا تحتوي على أدعية مبتدعة انبرى لهم الإمام أبو القاسم الطَّبَراني (ت ٣٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجمع الأدعية المأثورة في كتابه المشهور: «الدعاء»، وقال في مقدمته: «هذا كتاب أَلَّفْتُه جامعًا لأدعية رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حداني على ذلك أني رأيت كثيرًا من الناس قد تمسكوا بأدعية سجع، وأدعيةٍ وُضعت على عدد الأيام، مما ألفها الوراقون، لا تُروَى عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن أحد من التابعين بإحسان مع ما روي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكراهية للسجع في الدعاء والتعدي فيه»[(١)].

٢- وقال الإمام عبيد الله بن محمد بن بطة (ت ٣٨٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ومن البدع النظر في كتب العزائم[(٢)]، والعملُ بها»[(٣)].

٣- وقال الإمام أبو سليمان الخَطَّابي (ت ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد أُولِع كثير من العامة بأدعية منكرة اخترعوها، وأسماءٍ سموها، ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) «الدعاء» (٢/ ٧٨٥).

(٢) وهي الكتب التي صُنفت في الأدعية التي يراد بها الرقية غير الشرعية، والعزائم: الرقى، وعَزَمَ الراقي: كأنه أقسم على الداء.

(٣) «الشرح والإبانة» (ص٣٣٧).

وقد يوجد في أيديهم دستور[١] من الأسماء والأدعية يسمونه (ألف اسم)، صنعها لهم بعض المتكلفين من أهل الجهل والجرأة على الله عَزَّوَجَلَّ، أكثرها زور وافتراء على الله عَزَّوَجَلَّ، فليتجنبها الداعي إلا ما وافق منها الصواب...»[٢].

٤- وقال الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطُّرْطوشي (ت ٥٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن العجب العجاب أن تُعْرِضَ عن الدعوات التي ذكرها الله في كتابه عن الأنبياء، والأولياء، والأصفياء، مقرونةً بالإجابة، ثم تنتقيَ ألفاظ الشعراء والكُتَّاب كأنك قد دعوتَ في زعمِك بجميع دعواتهم، ثم استعنتَ بدعوات مَن سواهم» اهـ[٣].

٥- ولما رأى الإمام أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتشار الأدعية المُحْدَثة في عصره أنكر على أصحابها «الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري عَزَّوَجَلَّ بغير أسمائه، ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به، فحَذَارِ منها، ولا يَدْعُوَنَّ أحدٌ منكم إلا بما في الكتب الخمسة؛ وهي: كتاب البخاري ومسلم وأبي داودَ والترمذيِّ والنسائي، فهذه الكتاب هي بَدْءُ الإسلام، وقد دخل فيها ما في «الموطأ» الذي هو أصل التصانيف، وذروا سواها، ولا يقولن أحد: أختار دعاء كذا، فإن الله قد اختار له، وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله»[٤].

(١) الدستور هنا أصلها الدفتر يُكتب فيه أسماء الجند ومرتباتهم، أو القاعدةُ يُعمل بمقتضاها.
(٢) «شأن الدعاء» (ص١٦).
(٣) نقله عنه ابن عَلَّان في «الفتوحات الربانية» (١/ ١٧).
(٤) «أحكام القرآن» (٢/ ٨١٦).

٦- وقال القاضي ابن العربي أيضًا:

«إن الله أَذِن في دعائه، وعَلَّمَ الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياءَ: العلمُ بالتوحيد، والعلمُ باللغة، والنصيحةُ لأُمَّته، فلا ينبغي لأحدٍ أن يَعدِلَ عن دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد احتال الشيطانُ للناس في هذا المقام، فَقَيَّضَ لهم قوم سوءٍ يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين، فيقولون: (دعاء آدم، دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر الصديق)! فاتقوا الله في أنفسكم، ولا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح منه». اهـ[١].

٧- واستنكر الإمام المحَدِّث الحسن بن محمد الصَّغَاني (ت ٦٥٠هـ) الأحاديثَ الموضوعة في فضيلة رجب وغيره من الشهور والليالي، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وهذا من جنس اعتناء بعض الأغبياء الجهال والعوام الضُلال دعوتهم بدعاء (تمخيتا، وتمشيشا، وشمخيتا)، ودعوتهم في الشدائد بأسماء أصحاب الكهف، وبدعاء (شمعخ) وغيره من الدعوات المجهولات[٢] بزعمهم أن هذا من الأسماء العظام، والأدعية المستجابة عند العَلَّام، أو أنه من التوراة والإنجيل، ولسنا ملتزمين في شريعتنا بتلك الدعوات في الصباح والمساء، ولم يقل به أحد من العلماء والصلحاء، بل وضعه أغبياء الأدباء، وسفهاء القُصَّاص؛ لتغرير العوام، وجمعِ الحُطام، والشيطان في أكثر الأحيان يُظْهر لتلك الأسماء تأثيراتٍ

(١) «القَبَس في شرح موطأ مالك بن أنس» (ص٤٢١، ٤٢٢).
(٢) انظر: (ص١٩٩، ٢٠٠).

ومنافعَ لأجل تغرير الجهال وافتتانهم، وربما يكون التلفظ بتلك الألفاظ كفرًا؛ لأنَّا لا نعرف معناها بالعربية، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وهو يقول: آهيا، شراها، آدونا لراهيا وشا (أصباؤت)! فكُنْ متفطنًا لهذه الدقيقة؛ فقد ضل بها خلق كثير، وقانا الله تعالى البدع والأهواء؛ والفتنة المدلهمة الظلماء كالليلة السوداء. وكذلك الاعتناء بألف اسم واسم واحد، يدعو بعض العوام بها، ولم يرد فيها خبر ولا أثر عن السلف الصالحين، وأئمة الهدى، بل بعضها كفر؛ إذ أسماء الله تعالى توقيفية[(١)]، لا يجوز لنا أن ندعو إلا بما ورد في الكتاب والسنة، فنقول: يا كريم، ولا نقول: يا سخي»[(٢)].

٨- وعدَّد الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القُرْطُبي (ت:٦٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ صور الاعتداء في الدعاء، فقال: «ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة، فيتخير ألفاظًا مفقَرة، وكلمات مسجعة، وقد وجدها في كراريسَ لهؤلاء لا أصل لها، ولا مُعَوَّلَ عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلى الإنسان أن يستعمل ما في كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء، ويدع ما سواه، ولا يقول: أختار كذا؛ فإن الله تعالى قد اختار لنبيه وأوليائه، وعلَّمهم كيف يدْعون»[(٤)].

(١) فنثبت له تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون استعمال القياس فيها، فنقول «الجواد» ولا نقيس عليه «السخي»؛ لأنه لم يرد به توقيف، مع أنهما متقاربان في ظاهر الكلام.

(٢) انظر: «موضوعات الصغاني» (ص٦١-٦٣).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢٢٦).

(٤) «نفسه» (٤/ ٢٣١).

٩- وقال شيخ الإسلام أحمد ابن تيميَّةَ (ت ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لا ريب أن الأذكارَ والدعواتِ من أفضل العبادات، والعباداتُ مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فالأدعيةُ والأذكارُ النبوية هي أفضل ما يتحرَّاه المتَحَرِّي من الذكر والدعاء، وسالكُها على سبيلِ أمانٍ وسلامة، والفوائد التي تحصل بها لا يُعَبِّرُ عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون مُحَرَّمًا، وقد يكون مكروهًا، وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلُها.

وليس لأحد أن يَسُنَّ للناس نوعًا من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلَها عبادةً راتبة، يواظِبُ الناسُ عليها، كما يواظبون على الصلواتِ الخمس، بل هذا ابتداعُ دينٍ لم يأذن الله به؛ بخلاف ما يدعو به المرءُ أحيانًا من غير أن يجعله للناس سُنة، فهذا إذا لم يُعْلَم أنه يتضمن معنًى محرمًا لم يَجُزْ الجَزْمُ بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسانُ لا يشعر به.

وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تُفتَحُ عليه ذلك الوقتَ، فهذا وأمثاله قريب.

وأما اتخاذُ وِرْدٍ غيرِ شرعِيٍّ، واستنانُ ذِكرٍ غيرِ شرعي: فهذا مما يُنْهَى عنه، ومع هذا؛ ففي الأدعية الشرعية، والأذكارِ الشرعية غايةُ المطالبِ الصحيحة، ونهايةُ المقاصدِ العلية، ولا يَعْدِلُ عنها إلى غيرها من الأذكار المُحْدَثةِ المبتدَعةِ إلا جاهلٌ، أو مُفَرِّطٌ، أو مُتَعَدٍّ»[١].

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥١٠، ٥١١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة؛ فإن الدعاء من أفضل العبادات، وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه، فينبغي لنا أن نَتَّبع فيه ما شُرِعَ وسُنَّ، كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات، والذي يَعْدِلُ عن الدعاءِ المشروع إلى غيره -وإن كان من أحزاب بعض المشايخ- الأحسنُ له[١] ألا يَفُوتَه الأكملُ الأفضلُ، وهي الأدعية النبوية؛ فإنها أفضل وأكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك، وإن قالها بعض الشيوخ، فكيف وقد يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك.

ومِن أشد الناس عيبًا مَن يتخذ حزبًا ليس بمأثور عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان حزبًا لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم، وإمام الخَلْق، وحجة الله على عباده. والله أعلم»[٢].

(١) في قوله: «الأحسن له» إشارة إلى جواز الدعاء بغير المأثور، مع أن السنة الشريفة أتت من الأذكار والأدعية بما لا يُبقي مساحة لقائل، لا سيما إذا ضُمَّ مأثورها إلى ما جاء في الكتاب العزيز، والذين يبتدعون أدعية من عند أنفسهم يشبهون الذين استبدلوا الثُّوم والبصل بالمن والسلوى، وكأن سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في باب الأذكار قد ضاقت بهم على سَعتها!

ومع ذلك فهناك ضوابطُ لما يُحدِثه الإنسان من ذكر:

أولها: أن ميدان هذا (الإحداث) الجائز هو الذكر المطلق وليس الذكر المقيد، فإن الذكر الذي يقيد بلفظ وعدد وهيئة وحال ومناسبة وزمان ومكان يقال فيه، لا يجوز للإنسان إنشاؤه من عند نفسه؛ لأن تحديد هذا كله من خواصِّ الشارع لا يُنازَع فيها، ومَن فعل فقد ابتدع «طريقة في الدين تضاهي الطريقة الشرعية» من غير أن تكون في الحقيقة شرعية.

الثاني: يشترط في مضمون الدعاء الذي يخترعه العبد أن يكون صحيحًا في نفسه، متضمنًا الثناء على الله تعالى بما هو أهله، ولا يستلزم نقصًا بوجه من الوجوه.

الثالث: ويشترط في ألفاظه: أن يتخير أحسن ألفاظ الثناء وأجمعَها للمعاني، وأن تخلو من العدوان «سواء بكثرة الألفاظ والسجع والتقعر، أو بالاعتداء في المعاني»، وأن تكون عربية واضحة بينة بدون ألفاظ غامضة أو طلسمات ورموز غريبة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥٢٥).

١٠- وقال الإمام شمس الدين الذَّهَبيُّ (ت ٧٤٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وكل من لم يَزُمَّ نفسه في تعبده وأوراده بالسنة النبوية، يندم ويترهب ويسوء مزاجه، ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرؤوفِ الرحيمِ بالمؤمنين، الحريصِ على نفعهم، وما زال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلمًا للأمة أفضلَ الأعمال، وآمرًا بهجر التبتل والرهبانية التي لم يُبعثْ بها، فنهى عن سَرْدِ الصوم، ونهى عن الوِصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير، ونهى عن العُزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم، إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي.

فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية، المتجاوز لها مفضول مغرور، وأحب الأعمال إلى الله -تعالى- أودمها وإن قَلَّ.

ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة، وجنَّبنا الهوى والمخالفة» اهـ[١].

١١- ولما رأى العالم الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد المَنْبِجي (ت ٧٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتشار أدعية مبتدعة لزمها الناس حين وقع الطاعون سنة (٧٦٤هـ) انبرى لبيان ما التبس على العامة في قضية التوبة والأدعية، وألف في ذلك كتابه: «الطاعون وأحكامه»[٢].

١٢- وقال ذهبي العصر العلامة عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وما أخسرَ صفقةَ مَن يَدَعُ الأدعية الثابتة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو في سنة

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٨٥، ٨٦).

(٢) نشرته دار ابن حزم في سنة ٢٠١٧م.

رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلا يـكاد يدعو بها، ثم يعمد إلى غيرهـا فيتحرَّاه ويواظب عليه، أليس هذا من الظلم والعدوان؟!»[(١)].

١٣- وقد صحَّح العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ الحديث[(٢)] الذي رواه عمر ابن يحيى بن عمرو بن سلمة الهَمْدانيُّ قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبي، قال:

«كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أَخَـرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعدُ؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن؛ إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حِلقًا جلوسًا، ينتظرون الصلاة، في كل حلْقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبِّروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظارَ رأيك، قال: أفلا أمرتهم أن يَعُدُّوا سيئاتِهم، وضَمِنْتَ لهم ألا يضيعَ من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلْقة من تلك الحِلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتِكم؛ فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، وَيْحَكم يا أمة محمد! ما أسرعَ هلكَتَكم! هؤلاء

(١) «رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله» ضمن مجموع «آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي» (٣/ ٧٨٥).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقْم (٢٠٠٥)، أخرجه الدارمي (١/ ٦٨، ٦٩)، وبَحْشَلُ في «تاريخ واسط» (ص٩٨ - تحقيق عواد).

صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكْسَرْ، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة!! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه! إن رسول الله ﷺ حدَّثَنا: (**إن قومًا يقرؤون القرآن، لا يُجاوزُ تَراقيَهُم، يمرُقُون من الإسلام كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّة**).

وايم الله، ما أدري لعل أكثرهم منكم! ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: فرأينا عامة أولئك الحِلق يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج».

وبعد أن فصَّل العلَّامة الألباني في تخريجه والتعليق على سنده قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وإنما عُنِيتُ بتخريجه من هذا الوجه لقصة ابن مسعود مع أصحاب الحَلَقات؛ فإن فيها عِبرةً لأصحاب الطرق وحلَقات الذكر على خلاف السُّنة، فإن هؤلاء إذا أنكر عليهم منكر ما هم فيه اتهموه بإنكار الذكر من أصله! وهذا كفر لا يقع فيه مسلم في الدنيا، وإنما المنكَر ما ألصق به من الهيئات والتجمعات التي لم تكن مشروعة على عهد النبي ﷺ، وإلا فما الذي أنكره ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على أصحاب تلك الحلَقات؟ ليس هو إلا هذا التجمع في يوم معين، والذكر بعددٍ لم يرد، وإنما يحصره الشيخ صاحب الحلْقة، ويأمرهم به من عند نفْسه، وكأنه مشرِّع عن الله تعالى! ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]. زِدْ على ذلك أن السُّنة الثابتة عنه ﷺ فعلًا وقولًا إنما هي التسبيح بالأنامل، كما هو مبيَّن في (الرد على الحبشي)، وفي غيره» اهـ[(١)].

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٥/ ١٣).

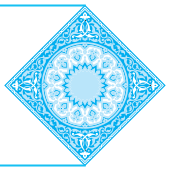

مبنى العبادة على التوقيف والاتِّباع لا على الهوى والابتداع

كما يجب أن يكون العمل مشروعًا باعتبار ذاته، يجب أن يكون مشروعًا باعتبار كيفيته؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن أَحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ**»(١).

فأصل الذكر مشروع في الإسلام، لكن لا على هذه الكيفيات والأحوال التي أحدثها الصوفية، وهو عبادة توقيفية لابد من دليل عليها، وأوراد الصوفية المحْدَثة لا يجوز العمل بها إلا بدليل، ولا دليل؛ فلا عمل.

والأصل فيما سكت عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنع، وإليه يشير قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولكننا نتبع السنة فعلًا وتركًا»(٢).

وقال العلَّامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«العبادات توقيفية، والأصل فيها الحظر والمنع، فلا يجوز لأحد أن يتعبد اللهَ بشيء لم يشرعه الله في كتابه أو في سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومتى شكَّ الإنسان في شيء: أَمِن أعمال العبادة هو أو لا؟ فالأصل أنه ليس بعبادة حتى يقوم دليل على ذلك، أي على أنه عبادة، والله أعلم»(٣).

(١) تقدَّم (ص١٥٦).
(٢) انظر: «فتح الباري» (٣/ ٤٧٥).
(٣) «فتاوى إسلامية» (١/ ٣٤٥).

إن اختراع أو تحديد ألفاظ معينة للوِرْد ثم إلزام المريدين بها عن طريق أخذ العهد عليهم[١]، ثم ترديدها بعدد مخصوص، وعلى هيئة مخصوصة[٢] بخلاف ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بدعةٌ في الدين، تدخل في عموم قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل مُحْدَثةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار**».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «... أو لأن ألفاظ الأذكار توقيفية في تعيين اللفظ، وتقدير الثواب، فربما كان في اللفظ سر ليس في الآخَر، ولو كان يرادفه في الظاهر»[٣].

إن التقيد بالوِرْد في وقت خاص، وعلى هيئة مخصوصة لا يثبت إلا بنصح صريح خاص، ولا يثبت بعمومات تدل على معانٍ كلية[٤].

إن التمسك بالعمومات مع الغفلة عن بيان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفعله وتركه هو من اتباع المتشابه الذي نهى الله عنه، ولو عوَّلنا على العمومات، وصرفنا النظر عن البيان؛ لانفتح باب كبير من أبواب البدعة لا يمكن سدُّه، ولا يقف الاختراع في الدين عند حد[٥].

---

(١) وقد سُئل الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ عن رجل من الصوفية أخذ العهد على رجل، ثم اختار الرجل شيخًا آخر، وأخذ عليه العهد، فهل العهد الأول لازم أم الثاني؟ فأجاب بقوله: «لا يلزم العهد الأول ولا الثاني، ولا أصل لذلك» اهـ. من «الحاوي للفتاوي» (١/ ٣٩٠، ٣٩١).

(٢) كأن يجتمعوا لقراءة تلك الأحزاب بصوت واحد، ويرفعون أصواتهم على نغمات معينة، وقد يصحب ذلك الصفقُ بالأيدي والضرب بالدف مع تمايل وتكسُّر وصياح حتى يُغمى على بعضهم، إلى غير ذلك مما هو معروف.

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٠٩) شرح حديث رقْم (٢٤٧).

(٤) انظر: بحث «شبهة التمسك بالعمومات» من كتابي «أصول البدع»، طبعة: «دار الأمل».

(٥) «الإبداع في مضار الابتداع» (ص٢٥).

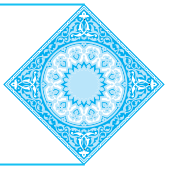

يجب أن يبقى المباحُ مباحًا

مع القول بأنه يُباح الدعاء بأدعية يُنشِئها البعض لا تتضمن مخالفة شرعية، لكن الصوفية يَخرجون بهذا المباح إلى دائرة المستحب، بل الواجب!

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«المباحات إنما تكون مباحةً إذا جُعِلت مباحات، فأمَّا إذا اتُّخِذَتْ واجباتٍ أو مستحبات؛ كان ذلك دِينًا لم يشرعه الله» اهـ[١].

ومشايخ الصوفية يأخذون العهد من المريدين؛ لئلا يتركوا أورادَهم وأحزابهم، ويوجبون عليهم أن يقرؤوا لكل يومٍ حزبًا معينًا، ويعاملونه معاملة الواجب[٢]: فإذا فات يجب أن يُقضى، بل ربما يُرتبون -من عند أنفسهم- الوعيد الشديد لمن هجر الوِرد وأخلَّ به[٣]؛ ولذا ترى أتباع كل شيخ يحافظون على الورد الخاص بشيخهم قراءةً وتبركًا، أشدَّ من محافظتهم على وِرد القرآن الكريم![٤].

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ١٢٥)، و«مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٥٠).
(٢) انظر: «إتحاف السادة المتقين» (٥/ ٢٦، ٢٧).
(٣) انظر: (ص١٨٨).
(٤) انظر كلام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص١٢٢).

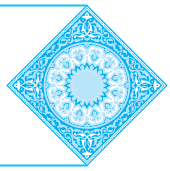

اختراع الأوراد المقيدة بدعةٌ إضافية

المداومة على الأدعية المخترعة، وملازمتها باستمرار في أوقات محددة، وصيغة محددة، وعددٍ محدد يجعلها كأنها سُنة راتبة، ويضعها في مصاف الأدعية المشروعة، ومثل هذا يُسمى بدعة إضافية؛ لأن أصل الدعاء مشروع، لكن التقييد ليس مشروعًا، فصار بدعة من حيث التقييدُ والتخصيصُ[١].

فالبدعة الإضافية لها جهتان: جهة أصل المشروعية، وجهة الكيفية.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأما البدعة الإضافية فهي التي لها شائبتان: **إحداهما**: لها من الأدلة متعلَّق، فلا تكون من تلك الجهة بدعة، **والأخرى**: ليس لها متعلَّقٌ إلا مثل ما للبدعة الحقيقية. وسُمِّيت إضافية؛ لأنها لم تتخلص لأحد الطرفين، أي: أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سُنة؛ لأنها مستندة إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة؛ لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، أو غير مستندة إلى شيء»[٢].

فمن هنا لا يقال: «لا مانع من الأدعية المبتدعة ما لم تشتمل على المحظور من الاعتداء وغيره».

---

(١) راجع التنبيه المتعلق بالمداومة (ص٣٧، ٣٨).

(٢) يُنظر: «الاعتصام» (٢/ ١٢٧، ١٢٨ تحقيق مشهور) ط. مكتبة التوحيد.

فاختراع الأذكار والأدعية -كما يفعل الصوفية- بدعة إضافية، ولا يتوجه الإنكار فيها على الجهة المشروعة منها التي تستند إلى عمومات الأدلة، وإنما يتوجه الإنكار إلى الجهة الأخرى المُحْدَثة من تعيين أوراد وصلوات وأدعية بأوقات مخصوصة، وكيفية معينة، وشروط مقررة، واتخاذها شعارًا، والمحافظة عليها مع إهمال المأثور عن سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشاطبي في سياق التفريق بين البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية:

«والفرق بينهما من جهة المعنى: أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات والأحوال والتفاصيل لم يَقُمْ عليها، مع أنها محتاجة إليه؛ لأن الغالب وقوعُها في التعبُّدِيَّات لا في العاديَّات المَحْضة» اهـ[١].

***

لقد حضَّ الإسلام على الدعاء، وشجع على المأثور منه، ونهى عن الاعتداء فيه، والصوفية لم يتقيَّدوا بكل ذلك، فراحوا يبتدعون أدعية من عندهم، فيها كثير من الغلو والاعتداء[٢].

والأوراد الصوفية تتنوع:

فمنها ما يشتمل على البدع، ومنها ما يتضمن الكفر والشرك، ومنها ما هو طلاسمُ لا تُفهم، وقليل منها ما يوافق ذكرًا أو دعاءً مأثورًا، وإذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن أن نطلق حكمًا عامًّا لكل ما هو وِرد صوفي، بل لابد من التفصيل.

(١) «الاعتصام» (٢/ ١٢٨).

(٢) ومن مجازفاتهم قول محمد بن عبد الحي الكتاني أنه قد «انعقد إجماع الصوفية على أن لكل عصرٍ أذكارًا وأدعية هي أولى بالعمل فيه، وأسرع إجابة من الأذكار والأدعية المتقدمة» اهـ. من «السر الخفي الامتناني الواصل إلى ذكر الراتب الكتاني» (ص٢٣٠).

كذلك الصوفيون ليسوا سواءً: لأن مصطلح «التصوف» حادث، لا يتعلق به مدح ولا ذم، لكن يُنظر في أحوال المنتسِب إليه من حيث موافقتُه للشرع الشريف ومخالفتُه له.

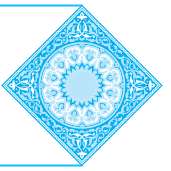

مراحل تطور الذِّكر الصوفي[١]

١- لقد مضت القرون الثلاثة المفضلة بالخيرية[٢] على لسان الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سالمةً من البدع عامة، ومعافاةً من بدع الأذكار خاصة.

٢- وبعد ذهابها وخلال المدة بين المئة الثانية للهجرة حتى نهاية المئة الثالثة (١٠١هـ - ٣٠٠هـ)، ظهرت الصوفية، ومرَّت بمراحلَ:

* ففي أواخر عصر التابعين حدث التصوف في البصرة، وبعد موت الحسن وابن سيرين ظهر أحمد بن علي الهُجيمي، وبنى دويرةً للصوفية، وهي أول ما بُني في الإسلام، أي: دار خاصة للالتقاء على ذكر أو سماع، وصار لهم من التعبد المُحدَثِ طريق يتمسكون به، مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع، وصار لهم حال من السماع والصوت...[٣].

* وظهرت مجالس الذكر والتذكير في البصرة وغيرها تذكِّر الناس بالآخرة، ونِعَمِ الله ووجوب شكرها، وحقارة الدنيا، والموت، وتحذر من عيوب النفس، وخواطر الشيطان، ونحو ذلك.

(١) انظر: «ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع» للدكتور عبد الرحمن خليفة (ص٢٨٩-٣٤٢).

(٢) وهي قرن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ثم قرن التابعين، ثم قرن أتباع التابعين، وكلها تستغرق المائة الأولى للهجرة.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٥٨) وما بعدها.

* ثم تطورت إلى تجمعات يقصدها العامة، ويقوم عليها الوعَّاظ والقصاصون الذين حكَوا غرائب القصص[١]، وبدأ -على أيديهم- ظهور مجالس السماع المبتدع للقصائد والأشعار الزهدية الملحَّنة بصحبة إيقاع أدوات الطرب[٢]، ثم تطور الأمر إلى إنشاد قصائد غَزَلية فيها ذكر (ليلى) و(سُعدى) جعلوها من الذكر والعبادة، وزعموا أنهم يقصدون بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هذا الذكر والتذكير يُهَيِّج القلوب ويوجِّهها إلى علام الغيوب.

وحدث -خلال هذه المرحلة أيضًا- الذكرُ باللفظ المفرد (الله)، مع رقص وتمايل، ثم تحول لفظ الجلالة إلى ضمير (هو)، مع قفز وصراخ واختلاط.

وشاع زعْم بعض الناس أن الخَضِر علَّمهم اسم الله الأعظم عن طريق اللقيا المباشرة، وظهرت أدعية خاصة يعرف بها شخص ما، كإبراهيمَ بنِ أدهمَ وغيرِه، وحدثت صيغ للذكر بكيفية خاصة وعدد معين على أيام معينة، كما ظهر الكلام حول تقسيم الذكر وتصنيفه، كما فعل ابن عطاء (ت:٣٠٩هـ).

٣- وفيما بين سنة (٣٠٠هـ) و(٥٠٠هـ):

انشغل التصوف بالأقوال والتنظير أكثر من الأعمال والمجاهدات، وبعد أن كان في القرنين الأولَيْن يتسمَّى بالزهد والفقر والتنسُّك، صار في القرنين الثالث والرابع عِلمَ الباطن الذي يتناول الأحكام الشرعية في العبادات من ناحية آثارها على قلوب المتعبدين[٣].

---

(١) وقد كانت قصص هؤلاء القصاصين طريقًا مُشْرَعًا لدخول الإسرائيليات، وبداية لحدوث الوضع والكذب في الحديث.

(٢) وهذا ما أنكره الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال: «تركت بالعراق شيئًا يقال له: التغبير، أحدثه الزنادقة، يصدون الناس به عن القرآن». وكذا أنكره الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وتتابع العلماء على إنكاره.

(٣) انظر: «الحياة الروحية في الإسلام» للدكتور محمد مصطفى حلمي (ص١٢٣، ١٢٤).

٤- ثم جاءت الفترة الأهم والأخطر في تطور الأذكار المبتدعة؛ بين بداية المائة السادسة إلى نهاية المائة الثامنة (٥٠٠هـ - ٨٠٠هـ):

وهذه المرحلة تمثل مرحلة الظهور المنظَّم، والتطور الفعلي للأذكار المبتدعة، وفيها ظهرت أصول الطرق المنظمة ذوات الأوردة والأحزاب الخاصة بكل منها، وهي: القادرية، والرفاعية، والشاذلية، والنقشبندية، والبدوية. كلٌّ منها يُنسب إلى شخص، ويتميز بذكر خاص.

وقد وضع كل شيخ أحزابه، وضبطها بعدد، وهيئة، ووقت، وشروط التلقين وآدابه. وتسابقت الطرق في اختراع فضائلَ لأحزابها وأورادها، ومنهم من ألحق بالأذكار ممارساتٍ خاصة بهم؛ كاقتحام النار، وأكل الأفاعي، وطعن أنفسهم بالمُدَى كما هو مشهور من أمر الرفاعية.

- وفيهم من حشا أوراده وأحزابه بالمقطَّعات والرموز والطلاسم والضمائر.

- كما حدثت أذكار تتضمن عقيدة وَحدة الوجود، والاتحاد، عن طريق الفناء[1] بالذكر.

- وشاع في أحزابهم الغلو في شخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتباره أصلَ الوجود.

- وكذلك عَدُّوا الغناء والرقص واستعمال آلات الإيقاع قُربةً وذكرًا.

- وشاع فيهم الغلو في مشايخهم؛ كراماتِهم ومناقبهم، والتوسل بهم، والاستمداد منهم، والاستغاثة بهم أمواتًا وأحياءً.

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٣٧٧)، (١/ ١٥٧، ١٥٨)، (٢/ ٤٣٧)، «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٦٧، ٣٦٨)، (٢/ ٤٦١، ٣١٣، ٣١٤، ٣٧٠).

- ومنهم من ألغى الذكر باللسان والبيان واللغة المنطوقة إلى الذكر الخفي والوقوف القلبي كما هو الحال عند النقشبندية.

لقد توسعوا في الابتداع في ساحة الأذكار حتى لم يُبقوا لمبتدعٍ مجتهد في الابتداع مساحةً يزيد فيها جديدًا.

٥- ثم جاءت المرحلة الأخيرة من بداية القرن التاسع (٨٠٠ هـ) إلى اليوم:

وهي مرحلة التفريع والشروح والدفاع عن أفكار السابقين، وتدهورت الصوفية -وبخاصة في العصر العثماني- حيث انشغلت بالرسوم والشكليات والأوهام والمبالغة في مناقب الأولياء وكراماتهم، وشاع الاحتفال بالموالد، وتكاثرت الطرق التي لا تختلف إلا في نوع الأوراد عند كل طريقة.

ومِن أخطر الطرق الغالية التي ظهرت متأخرة: «الطريقة التجانية» التي أسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم التِّجَاني (١١٥٠هـ - ١٢٣٠هـ) (١٧٣٧م - ١٨١٥م).

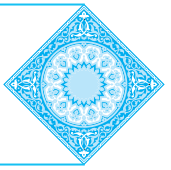

مصدر تلقي الأوراد عند الصوفية

- ادَّعى بعضهم أن حقيقة الأوراد عقود وعهود أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ(١).

وقد ادَّعى الرفاعية أن الرفاعي (ت ٥٧٨هـ) ما وضع شيئًا من الأحزاب إلا بإذن من الله ورسوله، ووصل بهم «الإسقاط» إلى حد أنهم زعموا أن مَن لم يأخذ بها فإنه مبتدع(٢).

- وادَّعى بعضهم تلقِّيَ أذكارٍ عن الله عَزَّوَجَلَّ مباشرة بالكشف والإلهام.

- وادَّعى بعضهم أنه لقيَ الخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه علَّمه هذه الأوراد.

فالصلاة المشيشية -مثلًا- لها قدر عظيم عند الصوفية، حيث يعتنون بها أشد الاعتناء، ومن مظاهر اعتنائهم أنهم يأخذون إجازتها عن شيوخهم، ويهتمون بتلك الإجازة، حتى وصل الأمر أن ادعَوْا أن من طرقها الإجازية ما كان من طريق الخَضِر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن عبد السلام بن مشيش صاحبها(٣).

(١) «بغية المستفيد شرح منية المريد» لمحمد العربي (ص١٢١، ١٢٢).

(٢) «قلادة الجواهر» (ص١٣٠).

(٣) «روح المعاني» (١٥/ ٣٢٧). ومن هنا فلا تعجب أن عبد السلام بن مشيش الذي تُنسب إليه هذه الصلاة حين قال له رجل: «يا سيدي، وظِّف عليَّ وظائف وأورادًا»؛ غضِب، وقال: «أرسولٌ أنا فأوجب الواجبات؟!» اهـ. من «نور التحقيق في صحة أعمال الطريق» لحامد الشاذلي، فهو لم يخترعها، ولكنه تلقاها -في زعمه- عن نبي الله الخَضِر عَلَيْهِ السَّلَامُ!

وقال الشيخ صالح محمد الجعفري (ت ١٩٧٩م):

«قال سيدي أحمد الإدريسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجتمعت بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اجتماعًا صوريًّا، ومعه الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأمر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الخضرَ أن يُلقنني أذكارَ الطريقة الشاذلية، فلقنني إياها بحضرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» اهـ[١].

- ومنهم من ادَّعى أنه تلقَّى أوراده عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في منامه، أو مباشرة في اليقظة بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي هذا ادعاء أن التشريع لم ينقطع بانتقاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى، وإنما يزعمون أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقي يشرع لهم الواجبات والمستحبات.

قال مؤلف «جواهر المعاني» عن الصلاة المسماة «بياقوتة الحقائق»: «هي إملاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لفظه الشريف على شيخنا، يقظةً لا منامًا»[٢].

- وجاء في ترجمة أحمد بن إدريس أنه قال: «أملى عليَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأحزاب من لفظه»[٣].

ونقل محمد بن عبد الحي الكتاني عن غيره قوله: «لا يُقال: الدعاء بالوارد عن الرسول أبلغ؛ لأنا نقول: تلك الأوراد مستمدة من حضرته على لسان مَلَك الإلهام في المعنى من جملة الوارد عنه» اهـ[٤].

---

(١) «مفاتيح كنوز السموات والأرض المخزونة التي أعطاها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشيخ الطريقة الإدريسية المصونة» (ص٨).

(٢) «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني» لعلي حرازم (٢/ ٢٢٨).

(٣) «المنتقى النفيس» لصالح بن محمد الجعفري (ص٩، ١٠).

(٤) «السر الخفي الامتناني الواصل إلى ذكر الراتب الكتاني» (ص٢٥٢).

- ومثله دعواهم أن أحمد بن إدريس تلقَّى تهليله المعروف بـ«لا إله إلا الله، محمد رسول الله، في كل لمحة، ونَفَس، عددَ ما وَسِعه علمُ الله» من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه قال له: خَزَنتُها لك يا أحمد، ما سبقك بها أحد، علِّمها أصحابك، يسبقون بها الأوائل»[(١)].

وادَّعَوْا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأحد العارفين، في شأن هذه الهيللة: «لو أن أحدًا يقول: لا إله إلا الله، وأمدَّ اللهُ في عمره من لَدُنْ آدمَ، إلى النفخ في الصور، وآخَر قال هذه الصيغة مرةً واحدة: لفضلت بها، بما لا نهاية...»[(٢)].

- وقالوا عن أوراد أحمد التِّجاني -شيخ الطريقة التجانية-: «أما أوراده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي تُلَقَّن لكافة الخلق؛ فالذي رتبه له سيدُ الوجود[(٣)]، وعَلَمُ الشهود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٤)]، وأنشدوا في ذلك:

أوراده من رسول الله قد رُويتْ

كذلك أفعاله والسرُّ مأثور[(٥)]

- ومنهم من نسب ذكره إلى شيخ طريقةٍ ميت.

---

(١) «المنتقى النفيس» (ص١١، ١٢).

(٢) «نفسه» (ص٣٥).

(٣) يشيع وصف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه «سيد الوجود» في كلام الصوفية، ولعله من غلوهم؛ لأن الثابت في الحديث وصفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه «**سيدُ ولدِ آدم**»، ولو كان تعظيمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوصف «سيد الوجود» مشروعًا؛ لاستعمله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأئمة الهدى من بعدهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

(٤) «جواهر المعاني» (١/ ١٠٢).

(٥) «نفسه» (١/ ١١٣).

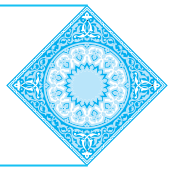

غلوهم في صلاة «جوهرة الكلام» المبتدعة

قال التِّجاني: «أعطاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة تسمى (جوهرة الكمال)، كل من ذكرها اثنتي عَشْرةَ مرةً فكأنما زاره في قبره، يعني: في روضته الشريفة، وكأنما زار أولياء الله الصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك، وقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هذه هدية مني إليك)»[(١)].

قال محمد سعد الرُّباطابيُّ: «وأما (جوهرة الكمال) فهي من إملاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسيدنا الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقظةً لا منامًا، فمن فضلها: أن المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات بشرط الطهارة المائية، وأن من لازمها كل يوم سبع مرات يحبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الأربعة يحضرون مع الذاكر عند السابعة منها، ولا يفارقونه حتى يفرغ من ذكرها»[(٢)].

ومن شروط قراءة «جوهرة الكمال» عند التجانية:

١- أنها لا تُقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية.

٢- وجود الفراش الطاهر الذي يسع ستة أشخاص؛ لأنهم يزعمون أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضر، والخلفاء الأربعة معه[(٣)].

(١) «الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية» (ص١١٠).

(٢) «شروط وأحكام وأوراد الطريقة التجانية» (ص٢٥).

(٣) «أحزاب وأوراد التجاني» (ص١٠).

غلوهم في صلاة «الفاتح لما أُغلِق» المبتدعة

إن صلاة «الفاتح لما أغلق» هي شعار التجانية، عُرِفوا بها وعُرِفت بهم، ونصُّ هذه الصلاة: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم» اهـ[(١)].

ويقول التجاني عن فضل صلاة «الفاتح لما أُغلِق»: «لما أمرني صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرجوع إليها سألْته عن فضلها؟ فأخبرني أن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيًا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة، لأنه من الأذكار»[(٢)]، «وأنها من كلام الله تعالى»[(٣)].

- ولما سُئل التجاني عن تفضيله لورده على القرآن، أجاب عن هذه المعارضة قائلًا:

«لا معارضة بين هذا وبين ما ورد من فضل القرآن والكلمة الشريفة؛ لأن فضل القرآن والكلمة الشريفة عام أُريد به العموم، وهذا خاص،

(١) «أحزاب وأوراد التجاني» (ص١٢).

(٢) «جواهر المعاني» (١/ ١٣٦).

(٣) انظر: «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم» لعمر بن سعيد الفوتي (٢/ ١٣٩)، وقال في «الأنوار الرحمانية»: «من لم يعتقد أنها -أي: صلاة الفاتح- من القرآن لم يُصب الثواب فيها» اهـ. (ص٢٨).

ولا معارضة بينهما، لأنه كان ﷺ يلقي الأحكام العامة للعامة في حياته، يعني إذا حرَّم شيئًا حرَّمه على الجميع، وإذا افترض شيئًا افترضه على الجميع، وهكذا سائر الأحكام الشرعية الظاهرة. ومع ذلك كان ﷺ يلقي الأحكام الخاصة للخاصة... فلما انتقل إلى الدار الآخرة، وهو كحياته ﷺ في الدنيا سواء، صار يوحي إلى أمته الأمر الخاص للخاص، ولا مدخل للأمر العام؛ فإنه انقطع بموته ﷺ... إلخ»[(١)].

وادَّعى التجاني أن رسول الله ﷺ قال في شأن «الفاتح لما أُغلِق»: «الفاتح لما أُغلِق... أمرٌ إلهيٌّ، لا مدخل فيه للعقول؛ فلو قُدِّرتْ مائةُ ألف أُمَّة، في كل أُمةٍ مائةُ ألف قبيلة، في كل قبيلة مائةُ ألف رجل، وعاش كل واحد منهم مائةَ ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم ألْفَ صلاة على النبي ﷺ، من غير صلاة الفاتح... وجميع ثواب هذه الأمم كلها، في مدة هذه السنين كلها، في هذه الأذكار كلها، ما لَحَقوا كلهم ثوابَ مرة واحدة من صلاة الفاتح...»[(٢)].

وقال مؤلف «الدرة الخريدة»: «... واعتقاد المصلي بها أنها[(٣)] في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف زيد ولا عمرو، بل هي من كلامه سبحانه، وأنها لم تكن من تأليف البكري، والفضل الذي فيها لا يحصل إلا بشرطين: الأول الإذن، الثاني: أن يعتقد الذاكر أن هذه الصلاة من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية وليست من تأليف مؤلف»[(٤)].

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١٤١).
(٢) «نفسه» (١/ ١١٧).
(٣) أي: صلاة الفاتح لما أغلق.
(٤) «الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة» لمحمد فتحا السوسي (٤/ ١٢٨، ٢١٩).

ومن غلوهم أنهم رتبوا على المحافظة على أوراد شيخهم التجاني ثوابًا عظيمًا، منه: «الاستقرار مع الشيخ في أعلى عليين بجوار سيد المرسلين بلا حساب ولا عذاب، ومنه: مغفرة الذنوب وأداء التبعات» اهـ[١].

وقال التجاني: «كل من أخذ وِردنا يُبعث من الآمنين، ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، هو وولده، وأزواجه وذريته المنفصلة عنه» اهـ[٢].

وفي «جواهر المعاني» أيضًا: «... ومن أخذ الورد ثم تركه تركًا كليًّا أو متهاونًا به، حَلَّت به العقوبة، ويأتيه الهلاك، وهذا إخبار من سيد الوجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» اهـ[٣].

(١) «بغية المستفيد» (ص٢٧٥).
(٢) «جواهر المعاني» (١/ ١٦٢).
(٣) «نفسه» (١/ ١٢٣).

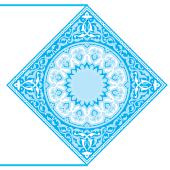

إبطال العلامة محمد الخضر الشنقيطي مجازفاتِ أحمد التجاني في شأن صلاة الفاتح

لقد جازف التجاني الجاني في شأن هذه الصلاة المخترعة المبتدعة حتى افترى على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أخبره: أن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، وقال: «ثم أخبرني ثانيًا: أن المرة الواحدة منها: تعدل كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكْر، ومن كل دعاءٍ؛ كبير، أو صغير، ومن القرآن: ستة آلاف مرة؛ لأنه من الأذكار»(١).

قال الدكتور صادق سليم صادق: «وهذا من الكذب الصريح؛ فالأخذ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظةً بعد موته: باطلٌ، ومحالٌ؛ عقلًا، وشرعًا، وقائل هذا القول له حال شيطاني؛ أوحى إليه شيطانه بهذا الهراء، أو يكون من الكذابين الدجالين، الذين لا يتورعون عن نسبة مثل هذا البهتان إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

وقد اشتدَّ نكير العلامة الشيخ محمد الخضر الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الافتراء، فقال: «فانظر كيف يجوز لعاقل، مسلم، أن ينسب لله تعالى، كلامًا لم ينزل وحيٌ به، على نبي معصوم، ويعتقد أنه من كلامه تعالى؟! فهذا من تخبط الجنون(٣)... وكيف يصحُّ له أن يفضل صلاة مخْتَرَعةً من مخلوقٍ، على كلام الله

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١١٤).

(٢) «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» (ص ٣٨٠).

(٣) ومن هنا فلابد - قبل أن نتمادى في محاكمة من يفتري مثل هذه الدعاوى الخطيرة - مِن فحصه عقليًّا، =

تعالى، فضلًا عن أن يجعلها تعدِلُ ستة آلافٍ منه؟! فأيُّ استخفافٍ وتحقيرٍ لكلام الله تعالى مثل هذا؟! أمَا كفاه نسبتها إلى الله تعالى، وجعلها من القرآن؛ حتى تجاوز إلى هذه البشاعة؟!».

فحيث إنَّ تَعَمُّدَ الكذب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال بعض العلماء[(١)]: إنه كفرٌ، كما يأتي؛ يكون تعمّد الكذب على الله تعالى، كفرًا، اتفاقًا...».

ثم نقل عن بعض أهل التفسير ما يدل على أن افتراء الكذب على الله، من خاصة أهل البدع والكفر، ثم قال: «وأصرح من هذا كله؛ في خصوص هذا الرجل المُشَرِّع، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣]، فإن هذه الآية نصٌّ في جميع مقالات هذا الرجل المتنوعة، بأنواع الافتراء؛ فكلها داخلٌ تحت هذه الآية».

ثم ساق عن جمع من المفسِّرين كلامًا في معنى الآية المتقدمة، وقال عَقِيبَه: «فقد بان لك من كلام جميع المفسرين شمولُ الآية لكل مَن نسب إلى الله تعالى شيئًا لم يكن في شريعته؛ سواء نَسَبَهُ إليه بادِّعاء وحي أو غيره؛ مثل ما فعل

=والتثبُّت من أهليته، والتوثُّق من خُلوِّه من الاضطراب العقلي وبخاصة «اضطرابُ التفكير الضلالي» *Delusional Disorder* من النوع المعروف بـ «العظمة الضلالية» *Delusion of Grandeur*، أو هُذاء البارانويا المسمى «جنون العظمة».

وكذلك خُلوِّه من عرض ذهاني آخر هو «الهُلاس» *Hallucination*، وهو اضطراب في الإدراك (*False perception*)، فيسمع أو يرى ما لا حقيقة له.

انظر: كتابي «المهدي» (ص٤٥٨، ٤٥٩)، (ص٣٧٤).

(١) هو الشيخ أبو محمد الجويني، لكن ضَعَّفَه ابنُه إمام الحرمين ومَن بعده، ومال ابنُ المنير إلى اختياره، والجمهور على أنه لا يُكفَّر إلا إذا اعتقد حِلَّ ذلك. وانظر: «فتح الباري» (١/ ٣٥٤) ط. دار طيبة.

هذا الرجل المفتري، في نِسْبته جميع ما صدر منه -من شريعته المخترعة- إلى الله تعالى؛ طَوْرًا بواسطة النبي ﷺ، فكل ما كان صادرًا من النبي ﷺ كان صادرًا من الله تعالى ومنسوبًا إليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣]، وطَوْرًا يصرِّح بنسبته إلى الله تعالى، بدون واسطة منه ﷺ... فلا أظنه إلا مدَّعيًا للنبوة، مستترًا عن الناس بنسبة مقالاته إلى النبي ﷺ؛ مخافة أن يطلع على حقيقته، ولا يروج كذبه...».

ومن جملة ما قرره في الرد على هذه الفرية، وعلى صاحبها: «أن زعمه بتفضيل (صلاة الفاتح لما أُغلق) على القرآن بستة آلاف مرةً؛ هو استهزاءٌ بالقرآن، وتحقير له؛ لا تفضيل عليه، ولو قال قائل: إن القرآن أفضلُ من هذه الصلاة المخترعة؛ لكان ذلك تنقيصًا بالقرآن الكريم[١]، فكيف لو عكس القول؟!

ثم إن كلامه في المفاضلة بين هذه الصلاة المكذوبة، وبين القرآن، ليس هو من باب التفضيل الحقيقي؛ وبيانُ ذلك: أن التفضيل في غير مقام التهكُّم؛ لابد فيه من مشاركة المفضول للفاضل في أصل الفضل؛ فلا يقال: فلانٌ أعلم من الحمار؛ إلا على وجه التهكُّم؛ وحينئذٍ لا يكون المقصود بيان الزيادة، بل الغرض حينئذٍ التشريك في أمر معلوم انتفاؤه عن الحمار.

وكلام هذا الرجل من باب التهكم، لا من باب التفضيل الحقيقي -الذي المشاركة فيه في أصل الفضل شرطٌ- وإيضاح ذلك: هو أنه لو صحَّ ما قاله هذا

(١) قال الشاعر:

ألم تر أن السيف يَنْقُصُ قَدْرُهُ ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

الرجل، من أن صلاة الفاتح تعدل ستة آلاف مرة من القرآن؛ فأيُّ فضلٍ للقرآن معها؟ وأيُّ فائدة فيه مع وجودها؟! فكيف يشتغل عاقلٌ به، ويختمه في ليال عديدةٍ وهو يجد هذه الصلاة المخترَعة، التي بإمكانه أن يقولها في طرفة عينٍ، ويحصل له من الأجر ما يفوق أجر تلاوة القرآن آلاف المرات؟! فاشتغالُ العاقل بتلاوة القرآن، مع وجود هذه الصيغة عَبَثٌ؛ لوجود ما هو أيسر وأفضل، بشيء لا ينتهي.

فعلى كلامه: لم يبقَ للقرآن فضلٌ مع صلاة الفاتح البتَّةَ؛ فآل كلامُه إلى التهكم؛ لأن مدار التهكم على عدم المشاركة في أصل الفضل.

وعلى كلامه: لم يبقَ للقرآن بالنسبة لها فضلٌ تحصل فيه المشاركة»[(١)].

(١) «مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني» ط. عيسى البابي الحلبي - مصر - ١٣٤٦هـ - (ص٢٥٣-٢٦٢) باختصار.

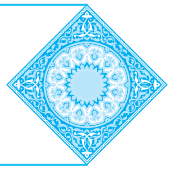

غلو الصوفية في «حزب البحر» لأبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ)[١]

ادَّعوا أن «حزب البحر» ويُسمى «الحزب الصغير» أيضًا مما أملاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الشاذلي[٢].

وقال الشاذلي في «حزبه الكبير»: «من قرأه كان له ما لنا، وعليه ما علينا»[٣]، وقال في «حزب البحر»: «حفظوه لأولادكم؛ فإن فيه اسمَ الله الأعظم»[٤]، مع أن «حزب البحر» تراكيبه العربية غير مستقيمة في بعض المواضع من ناحية المعنى ولا ترابط بينها.

وهناك أوائل السور المبدوءة بالحروف المقطعة[٥]، مع أن مثل هذه الحروف المقطعة لم ترد في الأدعية المأثورة.

(١) وكان من أبرز أحزاب أبي الحسن الشاذلي (حزب البر)، أي: الورد الكامل الذي يتلوه أصحابه بعد صلاة الصبح قبل استقبال أعمالهم اليومية.
و(حزب البحر) الذي ألفه وهو يعبر البحر الأحمر في طريقه لأداء الحج في السنة التي استولى فيها المغول على بغداد، وحكي عنه أنه قال: «لو تُلي حزب البحر على بغداد لما سقطت».
وهذا الحزب يتوسل به أصحابه كل يوم على متن المركب وقت العصر، وكان أول من نقله إلى البلاد الإسلامية -وبخاصة المغربُ- الرحالة ابن بطوطة.
ثم ألف (عبد الهادي التازي) توسلاتٍ سمَّاها (حزب الجو) استلهمه أثناء رحلاته الجوية التي تجاوزت الستمائة رحلة.

(٢) «جواهر المعاني» (١/ ١٢٦).

(٣) «أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود (ص١٥٣، ١٧٦).

(٤) «نفسه» (ص٤٣).

(٥) «نفسه» (ص١٦٨، ١٦٩).

غلوهم في «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»[١]

وهو من أشهر كتب الأدعية والأذكار، والصلاة والسلام على النبي المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتداولونه بكثرة، حتى إن بعض الفقهاء يروونه بالإجازات، وزعم بعضهم أن قراءة «دلائل الخيرات» أفضل من قراءة القرآن الكريم سبعة آلاف مرة.

وفي الكتاب أشياءُ عليها لوائح الوضع والكذب؛ مثل (حزب يوم الجمعة)، وثواب من قرأه، حيث ادَّعى أن له ثوابَ حجة مقبولة، وعتق رقبة من ولد إسماعيل، وإعطاء قصر في الجنة بكل حرف، وأن وجهه كالقمر، وكفه في كف حبيبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الحزب قال شارح «الدلائل»: العمدة في ذلك على المؤلف، فلم يجدوا له أصلًا غير ما ذكره المؤلف[٢].

***

(١) لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي السملالي (ت ٨٥٤هـ) كما في «كشف الظنون» (١/ ٧٥٩).

(٢) انظر: «السنن والمبتدعات» (ص٢٤١)، و«الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات» للشيخ عبد الله بن محمد الدويش (ت ١٤٠٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، و«وقفات مع دلائل الخيرات» للدكتور محمد ابن عبد الرحمن المغراوي حفظه الله، و«دليل الخيرات وسبل الجنات» للشيخ خير الدين وانلي.

- وقال أحمد بن إدريسَ عن بعض أحزابه التي ادَّعى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أملاها عليه:

«... فإنه لم يُسمع بمثلهما في أحزاب الأوائل من المشايخ الذين سبقوا، وقد تعجب الأنبياء عند سماعها؛ مثل الخليل وغيره -صلوات الله وسلامه عليهم-، وقد عظَّم سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهما تعظيمًا عظيمًا...»[١].

- وادَّعى محمد بن عثمان الميرغني -شيخ الطريقة الختمية (ت: ١٢٦٨هـ)- أن من خصائص قراءة النظم المسمى بـ«البراق» أنه ما قُرِئ في محلٍّ إلا وتُشاهَدُ فيه رُوحانية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروحانية النبيين والصِّدِّيقين بالخصوصية، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشَّره بحضوره عند قراءته، وأن من واظب على قراءته ولو بيتًا واحدًا: يُنشدُه بين يديه في الجنة[٢].

- أما الصلاة المسماة عندهم بـ«العظيمة» فقد ادعَوْا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في شأنها: «إن المرة الواحدة منها بقدْر الدنيا والآخرة وما فيهما، أضعافًا مضاعفة»[٣].

(١) «المنتقى النفيس» (ص١٠).
(٢) «مناقب صاحب الراتب» (ص١٠١).
(٣) «المنتقى النفيس» (ص٥٣).

نماذجُ من اعتداء الصوفية في أورادهم

لقد أساء الصوفيَّة إلى مفهوم «الحزب» و«الـورد» كثيرًا، ومن مظاهر انحرافهم في هذا الباب:

أولًا: أنهم قد يهجرون الأذكار والأدعية المشروعة.

ثانيًا: أنهم يستدركون على المشروع منها.

ثالثًا: أنهم يستحبون ما لم يُشرع.

رابعًا: أنهم يوهمون العامة بمشروعية أورادهم وأحزابهم، ويُلزمونهم بها.

خامسًا: أنها تشتمل على أدعية شركية، وألفاظ مبتدعة[(١)]، وسائر مظاهر الاعتداء في الدعاء الذي حذَّر منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفيما يلي نذكر مظاهر هذا الاعتداء:

١- مِن أبشعِ بِدَعهم واعتدائهم في الذكر: الاستمداد، والمراقبة:

ومعنى «الاستمداد» عندهم: أن يستحضر المريد أثناء الذكر صورة الشيخ في قلبه، ويتصور أن عمودًا من النور يخرج من قلب الشيخ، ويدخل قلب المريد[(٢)]، وكأن الشيخ -عياذًا بالله- هو الذي يهدي القلب، ويمده بالنور، فأين الله؟!

---

(١) انظر: «تصحيح الدعاء» (ص٣٤٨).

(٢) انظر: «جوهر المعاني» (١/ ١٢٣)، و«رماح حزب الرحيم» (٢/ ٢).

ومنهم من يستحضر صورة الشيخ أثناء الصلاة؛ بحجة منع الوسواس[١].

ويُسمُّون هذا الاستحضار «المراقبة»، وبدلًا من مراقبة الله تعالى بالإحسان الوارد في حديث جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يراقبون الشيخ ويستحضرونه!

٢- ومن أشنع وأضل بدعهم واعتدائهم في الدعاء:

- وظيفة ابن مشيش، وفيها:

«اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وألقني في بحار الوَحدة»، «وجُدْ لي بجمع الجمع منك تفضلًا».

- وفي «الأوراد الشاذلية» وغيرها: «وزُجَّ بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوَحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أُحِس إلا بها».

- وفي دعاء البِسْطامي: «ارفعني إلى أحديتك، وأدخلني في صمديتك، حتى أكون أنا أنت، فإذا رآني عبادك عرفوك...».

٣- ومن اعتدائهم وسوء أدبهم مع الله في الدعاء:

سؤال ما لا يليق بهم؛ كطلب منازل الأنبياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويوجد في كلامه -أي: الشاذلي- وكلامِ غيره أقوالٌ، وأدعية، وأحزاب، تستلزم تعطيل الأمر والنهي، مثل أن يدعو أن يعطيه الله إذا عصاه أعظم مما يعطيه إذا أطاعه، ونحو هذا مما يوجب أنه

(١) «السراج المنير» للدكتور تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٦٥، ٦٦).

يجوز عنده أن يجعل الذين اجترحوا السيئات كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، بل أفضل منهم، ويدْعون بأدعية فيها اعتداء كما يوجد في حزب الشاذلي»[(١)].

٤- ومن أمثلة الاعتداء الذي في «دلائل الخيرات» قولُه في ثلاثة مواضعَ: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد عددَ معلوماتِك، وأضعافَ ذلك»، ففي هذا جَعَلَ معلوماتِ الله معلوماتٍ محدودةً.

وقولُه: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء»، وقوله: «اللهم ارحم سيدنا محمدًا حتى لا يبقى من الرحمة شيء»، وقوله: «اللهم بارك على سيدنا محمد حتى لا يبقى من البركة شيء».

٥- وقد يكون في بعض الأحزاب توسُّلٌ إلى الله تعالى بالمخلوقات:

ففي «الحزب الكبير» للرفاعي: «اللهم إني أسألك بالحقوق الأزلية، والنعوت الإلهية... والأجسام السماوية، والملائكة العرشية، والأفلاك الدائرة النورانية»[(٢)].

وقد توسل الواسطي[(٣)] والرفاعي بـ«... النور اللامع، والقمر الساطع، والبدر الطالع، والفيض الهامع»[(٤)].

٦- وقد تشتمل تلك الأوراد والأحزاب على التوسل المبتدع، كالتوسل بالذوات والجاه الذي منعه أبو حنيفةَ وأصحابُه، فمما يُنسب للشاذلي: «اللهم

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٥٨، ٣٥٩)، (٨/ ٢٣٢).
(٢) «قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر» (ص٢٥٦).
(٣) «ترياق المحبين» لتقي الدين الواسطي (ص٢١، ٢٢).
(٤) «المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية» للصيادي (ص٢٤، ٢٥)، و«القواعد المرعية» له (ص٩-١٣)، و«قلادة الجواهر» (ص١٠٠).

إني أسألك بجاه محمد المصطفى، وإبراهيمَ الذي وفَّى، وبحرمة كل رسول ونبي، وصِدِّيقٍ وولي وشهيد، وصالح، وتقي...»[١].

وفي «حزب الفتح» له: «أسألك بحرمة الأستاذ[٢]، بل بحرمة النبي الهادي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبحرمة الاثنين[٣]، والأربعة[٤]، وبحرمة السبعين والثمانية، وبحرمة أسرارها منك إلى محمد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[٥].

٧- **ومن ذلك التوسل بحروف الهجاء:** ففي «حزب الأسرار» للرفاعي:

«اللهم إني أسألك بالباء المعطوف وبباء البهاء، بتاء التأليف، بثاء الثناء، بجيم الجلالة، بحاء الحياء، بخاء الخوف، بدال الدلالة، بذال الذكر، براء الربوبية، بزاي الزلفى، بسين السناء، بشين الشكر، بصاد الصفا، بضاد الضمير، بظاء الظلمة، بعين العناية...»[٦] إلخ.

٨- **ومن ضلالهم في باب الدعاء: الإلحاد في أسماء الله الحسنى،** بتسمية الله تعالى بغير أسمائه الحسنى، بل بكلام غير مفهوم[٧]، وهذا من أقبح البدع المحرَّمة؛

(١) «أبو الحسن الشاذلي» (ص١٥٧).

(٢) لعله يعني به القطب أو الغوث، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان، ويزعمون أنه على قلب إسرافيل. انظر: «ملحق التعريفات للجُرجاني» (ص٢٣٥).

(٣) هما عندهم الإمامان، أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

(٤) الأربعة هم: الأوتاد، منازلهم على أربعة أركان من العالم: شرق، وغرب، وشمال، وجنوب.

(٥) «أبو الحسن الشاذلي» (ص١٦٥).

(٦) «قلادة الجواهر» (ص٢٥٧، ٢٥٨).

(٧) راجع (ص١٦٥، ١٦٦).

فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

ذكر عبد الله أحمد أبو زينة في كتابه الذي جمعه «ذكر ودعاء»: «يا باسط، يا غني بمهبوب ذي لطف خفي بصعصع بسهسهوب ذي العهز الشامخ، الذي له العظمة والكبرياء، بطهطهوب لهوب ذي القدرة والبرهان والعظمة والسلطان»! ثم يقول: «بحق سورة الواقعة، وبحق فقج مخمت مفتاح جبار فرد معطي خير الرازقين»[(١)].

ويقول إبراهيم الدسوقي في ورده المسمى بـ«الحزب الكبير»: «اللهم آمني من كل خوف، وهم وغم، وكرب، كدكد كردد كردد كردد كردد كردد كرد ده ده ده ده الله رب العزة»[(٢)].

وجاء في «ورد الجلالة» المنسوب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ما نصه: «وأسألك الوصول بالسر الذي تدهش منه العقول، فهو من قربه ذاهل، ايتنوخ، يا ملوخ، باي، وامن أي وامن، مهباش الذي له ملك السموات والأرض» ثم يستطرد قائلًا: «طهفلوش انقطع الرجاء إلا منك، وسدت الطرق إلا إليك، وخابت الآمال إلا فيك»[(٣)].

وقد سُئل شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: عمن يقول: يا أزران، يا كيان! هل صح أن هذه أسماء وردت بها السُّنة، لم يحرم قولها؟

(١) «ذكر ودعاء» (ص٥٣).
(٢) «نفسه».
(٣) «مجموع الأوراد الكبير» - «ورد الجلالة» للجيلاني (ص١٠).

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد لله. لم يَنْقِل هذه عن الصحابة أحدٌ، لا بإسنادٍ صحيح، ولا بإسناد ضعيف، ولا سلفِ الأمة، ولا أئمتها. وهذه الألفاظ لا معنى لها في كلام العرب؛ فكل اسم مجهول ليس لأحد أن يَرْقيَ به، فضلًا عن أن يدعوَ به، ولو عرف معناها، وأنه صحيح لَكُرِهَ أن يدعوَ اللهَ بغير الأسماء العربية»[(١)].

٩- وقد تشتمل الأوراد على ألفاظ ركيكة لا تتسق مع الكلام البليغ، ولا يستقيم بناؤها على القواعد العربية، ففي «جوهرة الكمال»: «الصراط الأسقم والمطلسم».

قال الشيخ تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنت إذا نظرت في كلمات هذه الصلاة -من أولها إلى آخرها- وجدتها في غاية البعد عن الكلام الفصيح، ولم تستبعد صدور الأسقم والمطلسم من مؤلفها»[(٢)].

١٠- وقد يوجد فيها طلاسمُ ورموز وصور، وألفاظ غريبة غامضة، كما في الدعاء الذي يُنسَب إلى إبراهيم الدسوقي: «باسم الله الخالق، يلجمه بلجام قدرته، أحمي حميثًا، أطمي طميثًا» إلخ.

وجاء في «ورد الجوهرة» للرفاعي:

«اللهم أسألك بالجرة التي هي في جوهرة الأمر، ومدة السر، وحبل الإرادة، وطريق التدوير، ومنهج الغيب، وسلسلة الهز، وسبيل العز، جرة جيم جوهر جمع مجموع جوامع جميع مجامع جمعيات الجلال والجمال والجلالات والجلجلة

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢٨٣).
(٢) «الهدية الهادية» (ص١١١).

والجلوات والجوليات والجولات والجهريات والجريان والجاريات والجارات والمجرورات... تعطفات رأفة ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾، مظهر قوة لطيف مذكرات ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴾، قابلية سعادة سؤدد سلطنة إحسان ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾. قال الصيادي: وهو مجرب للفتوح ولقضاء الحاجات»[(١)].

١١- وكذلك يستعملون في حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تراكيبَ غامضةً ملغزة تشبه الطلمسات، وتحوي كذلك غلوًّا في مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

- ففي حزب «جوهرة الأسرار» للرفاعي:

«اللهم صلِّ على نورك الأسبق، وصراطك المحقق، الذي أرسلته بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنك وسراجًا منيرًا، نقطة مركز الباء الدائرة الأولية، وسر أسرار الألف القطبانية، الذي فتقت به رتق الوجود... فهو سرُّك القديم الساري، وماء جوهر الجوهرية الجاري، الذي أحييت به الموجودات، من معدن وحيوان ونبات، قلب القلوب، وروح الأرواح، وأعلام الكلمات الطيبات: القلم الأعلى والعرش المحيط، روح جسد الكونين وبرزخ البحرين... إلخ»[(٢)].

قال الصيادي عن هذا الحزب: «وهو مجرب للفتوح ولقضاء الحاجات على العدو كالسيف القاطع»[(٣)].

---

(١) انظر: «قلادة الجواهر» (ص٣٤١-٣٤٤).

(٢) «نفسه» (ص٢٤٩، ٢٥٠).

(٣) «نفسه» (ص٣٤١).

- وفي «ورد الأنس» له أيضًا:

«اللهم صلِّ على أَلِف إنس إنسان الأزل، بحكمة باء برهان من لم يزل، أصل الأشياء الكلية: آدم في حقيقة البداية، أثر السر في آثار خفايا المظاهر الخفية، أول الكل في الأولوية: إنسان دار الغيب المبرقع بطلسم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، المخاطب بـ: لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك[١]، أحمدي الصفات أصل السبب في الإيجاد، فالكل منه والكل إليه[٢]... إلخ».

ثم قال الصيادي: «قال بهاء الدين الرواس قدس الله سره: هذا الورد سيف قاطع للمهمات، وحبل مُوَصِّل للمقصودات، وله أسرار غريبة، وشؤون عجيبة»[٣].

* * *

وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا الباب تذكرةً لأولي الألباب، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هذا لفظ حديث قال فيه الصغاني والألباني: «موضوع» كما في «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص٣٢٦)، و«السلسلة الضعيفة» (٢٨٢)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٩٦).

(٢) يعني به: رسول الله ﷺ.

(٣) «قلادة الجواهر» (ص٢٦٣، ٢٦٤).

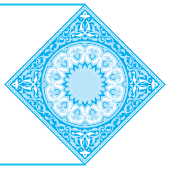

الفهـــارس

أولًا: فهرس أطراف الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصحيفة
(أ)	
اتقوا الملاعن الثلاث	٢٠
أحب الأعمال إلى الله	٢٨
أحب العمل إلى الله	١٩
اختمه في خمس	٦٩
اختمه في شهر	٦٠
أدومها وإن قل	٢٨
إذا أتيت مضجعك	١٥٩
إذا أنفق الرجل	٢٥
إذا أيقظ الرجل	١٧
إذا كان العبد على طريقة	٣٢
إذا مررتم برياض الجنة	١٢

طرف الحديث	رقم الصحيفة
إذا مرض العبد	٢٩
إذن يكفيك الله هم	١٠٦
استأذنت ربي	١٤٠
استكثروا من الباقيات	١٠٩
اقرأه في ثلاث	٦١
اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا	١٠٢
أكثروا الصلاة عليَّ فإن الله	١١٠
أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة	١١١
أكثروا من شهادة	١٠٩
أكثروا من غرس الجنة	١١٠
أكثروا من قول	١١٠
اكلفوا من الأعمال	٢٨
ألا أخبرك ما هو	٣٣
اللهم إني أسألك العافية	٣٣
اللهم إني أعوذ بك	١٦٠
اللهم اهْدِ أم أبي هريرة	١٤١
اللهم اهْدِ دوسًا	١٤٠
ألم أخبر أنك تصوم الدهر	٦٠

طرف الحديث	رقم الصحيفة
ألم أخبر أنك تصوم النهار	٩٧
أمَا إني لم أستحلفكم	١٣
أمَّا أبوك فلو كان	١٣٨
أما بعد فإن خير الحديث	١٥٦
إنْ زدت فهو خير	١٠٦
أنا سيد ولد آدم	١٨٤
أنا مع عبدي	١٠
إن الله تبارك وتعالى يقول: إذا ابتليتُ	٢٩
إن الله يحب العبد	٥٣
إن أولى الناس بي	١١١
إن في الصلاة لشغـلًا	١٨
إن قومًا يقرؤون القرآن	١٧١
إن لله ملائكة فضـلًا	١٣
إنك لتصوم النهار	٩٧
إنه من قرأ الآيتين	١٠٠
إني لأدخل في الصلاة	٨٢
(ت)	
تعاهدوا القرآن	١٠١

طرف الحديث	رقم الصحيفة
(ث)	
ثلاثة لا يرد دعاؤهم	٩
(خ)	
خذوا من الأعمال	٩٨
خير ما يخلف الرجل من بعده	١٣٩
(د)	
الدنيا ملعونة	٥٥
(س)	
سبق المفردون	١٧
(ط)	
طرأ عليَّ حزب	٥٨
طوبى لمن طال عمره	١٠
طوبى لمن وجد	١٠٩
(ع)	
عليكم بسنتي	١٥٧
(غ)	
غسل الجمعة واجب	٣٧

طرف الحديث	رقم الصحيفة
(ف)	
في أربعين يومًا	٦١
(ق)	
قرأت جزءًا من القرآن	٥٧، ٥٩
قل: اللهم إني ظلمت	١٦١
(ك)	
كان رسول الله إذا عمل عملًا	٤٣
كان رسول الله إذا لم يصل من الليل	٤٣
كان صلى الله عليه وسلم لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث	٧٣
كان يذكر الله على كل أحيانه	١٩
كفى بالمرء إثمًا	٩٨
كل محدثة بدعة	١٧٣
(ل)	
لا تكن مثل فلان	٣٣
لا يزال لسانك	١١
لا يفقه من قرأ القرآن	٧٣، ٩٢
لا يقعد قوم في مجلس	١٤
لقد رأيت ابتدرها اثنا عشر ملَكًا	٣٥

طرف الحديث	رقم الصحيفة
(م)	
ما ابتدع قوم بدعة	١٥٨
ما أحدث قوم بدعة	١٥٨
ما جلس قوم مجلسًا فتفرقوا	١٥
ما جلس قوم مجلسًا فلم يذكروا الله إلا كان	١٥
ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه	١٤
ما جلس قوم يذكرون الله	١٤
ما عمل آدمي قط	١١
ما قعد قوم مقعدًا لم يذكروا	١٤
ما من امرئ تكون له صلاة	٣٠
ما من عبد يصلي عليَّ	١١١
ما من قوم جلسوا مجلسًا	١٥
الماهر بالقرآن	٩٤
مثل البيت الذي	٩
من أحب أن تسره	١٠٩
من أحدث في أمرنا هذا	١٧٢
من ذكرني في نفسه	١٢

طرف الحديث	رقم الصحيفة
من ثابر على اثنتي عشرة ركعة	٣٤
من صلى اثنتي عشرة	٣٤
من صلى في يوم وليلة	٣٤
من القائل كلمة كذا وكذا	٣٥
من قام بعشر آيات	١٠١
من قرأ آية الكرسي	٣٦
من قرأ بمئة آية في ليلة	١٠١
من قرأ حرفًا من كتاب الله	٧٨، ١٠٣
من قرأ القرآن في أقل	٧٠
من قرأ في ليلة مئة	١٠١
من نام عن حزبه أو عن شيء	٥٧، ٥٩
من نام عن حزبه من الليل	٤٤
(ن)	
نعم الصلاة عليهما	١٣٩
(هـ)	
هل من مستغفر	١١٢

طرف الحديث	رقم الصحيفة
(و)	
وآمركم بذكر الله	١٠
وإن أحب الأعمال ما دووم عليه	٩٨
والذي يقرؤه وهو	٩٤
وما أنكرت من ذلك؟ ليس أحد	١١
وما تقرب إليَّ عبدي	٢٧
ومثل المنافق الذي يقرأ	٧٧
(ي)	
يا أبا بكر قُلْ: اللهم فاطر	١٦٢
يا أيها الناس اذكروا	١٠٥
يا عبد الله لا تكن مثل فلان	٣٣، ٤٧
يا محمد مر أمتك	١١٠

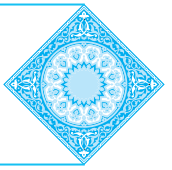

ثانيًا: فهرس الآثار والأقوال

طرف الأثر	رقم الصحيفة
(أ)	
اتبعوا ولا تبتدعوا	١٥٧
أجر بغير عمل	٣٢
أدرك ما فاتك	٤١
إذا فاتك شيء من التطوع	٤٨
إذا فاتني جزء من وردي	١٢٩
إذا كان العبد في شبابه	٣٢
اعذرني؛ فإني كنت	١٢٩
إلى أرذل العمر	٣١
إلى الكبر وضعفه	٣١
اللهم اغفر لأبي هريرة	١٤٢
اللهم اغفر للزبير	١٤٣
إملاء الخير على خير أليس خيرًا؟	١٣٢
إنْ قصر أحد في الليل	٤٢

طرف الأثر	رقم الصحيفة
إن لم يستطع عمل الليل	٤٢
إنَّ الله لم يفرض على عباده	١٦
أن أبا هريرة كان يسبح	١٢٦
إن إخواننا من المهاجرين	٩٨
إن بابي مغلق	١٢٧
أن النبي أوصاه بأن يقرأه في خمس عشرة	٦٦
إنه بقي علي من وردي شيء فأحببت	٤١، ٥٨
أنه كره التعشير	٨٨
إني كنت نمت	٤٥
إني لأستجم؛ ليكون أنشط لي	١٢٦
أوصاني حبيبي	٣٤
أي العمل كان أحب	٢٨
(ب)	
بحبي لك إلا رفقت بي	١٢٨
بخير ما فاتني حزبي	١٢٧
بما كسبت يداك	١٢٧

طرف الأثر	رقم الصحيفة
(ت)	
ترفع للميت بعد موته	١٣٩
ترك العمل لأجل الناس رياء	١٣٧
(ج)	
جعل الليل خلفًا	٤١
جلست إلى أبي ذر وهو يسبح	١٣٢
(خ)	
خذ من ليلك	٤٢
(د)	
يا بني دعني؛ فإني في وِردي الرابع	١٢٨
(ذ)	
ذهبت ألقن أبي عند الموت	٢٢
(ر)	
رحمكِ الله كما ربيتني	١٤٢
(س)	
سألت أصحاب رسول الله: كيف تحزبون	٨٠
(ع)	
عجزت عن حزبي	١٢٨

طرف الأثر	رقم الصحيفة
(ف)	
فجزاك الله من معلم	٣٦
فجعل النهار خلفًا	٤٢
فصرت إلى الذي قال لي	٦٠
فما تركتها بعد	٣٤
فما تركتهن منذ سمعتهن	٣٤
في أحسن صورة	٣١
في كم تقرأ القرآن	٥٩
(ق)	
القصد في السُّنَّة خير	١٥٧
(ك)	
كان أحب العمل	٢٨
كان أحدهم إذا بقي	٤٦
كان سري متصل الشغل	١٢٩
كان عثمان يبتدئ ليلة الجمعة	٩٢
كان عروة بن الزبير يقرأ	١٢٧
كان عمر يمر بالآية	١٢٦
كان قتادة يختم	٧٥

طرف الأثر	رقم الصحيفة
كان له خيط فيه ألفا عقدة	١٢٦
كنت أدعو أمي	١٤١
كنت في الوفد الذين أتوا	٥٨
كيف أنتم إذا لبستم	١٥٧
كيف كان عمل النبي	٢٧
(ل)	
لا تبتدعوا	١٥٦
لا تبكي يا بنية	١٢٩
لا يكون من الذاكرين الله كثيرًا	١٧
لقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة	٥٢
لأن أقرأه في عشرين	٦٦
لو نشر لي أبوايَ	٢٨
لي نَيِّفٌ و أربعون ذنبًا	١٢٨
(م)	
ما ابتدع قوم بدعة	١٥٨
ما تقول في اللعب بالشطرنج	٩٥
مات أبي فما سألت	١٤٣

طرف الأثر	رقم الصحيفة
من صلى الصلوات الخمس	١٧
من عجز بالليل كان له	٤٢
من فاته جزؤه من الليل	٤٥
من فاته حزبه من الليل فقرأ حين تزول الشمس	٤٦
من فاته شيء من حزبه	٤٥
من فاته شيء من الليل	٤١
من فاته ورده من الليل	٤٦
من كان له ورد فقطعه	٣٥
من نام عن حزبه	٤٦
(ن)	
نحزبه ثلاث سور	٥٨
نمت البارحة عن وِردي	٤٧
نمت عن حزبي	٤٥
(هـ)	
هذا الذي أوردني	٢١
(و)	
وكانت عائشة إذا عملت	٢٨
وكان نبي الله إذا صلى	٢٧

طرف الأثر	رقم الصحيفة
وكم من مريد للخير	٧١
ولا أعلم نبي الله قرأ	٧٣
(ي)	
يا أبا محمد ما رأيت أحدًا	١٢٨
يا ابني دعني	١٢٨
يا عبد الله كيف تقرأ القرآن	٢٥
يا نافع هل جاء	١١٢
يختلفان، هذا أسود وهذا أبيض	٤٢
يذكرون الله في أدبار الصلوات	١٧

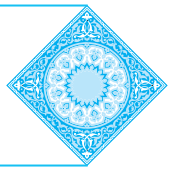

ثالثًا: فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٥
معنى «طاقة» والتفريق بينها وبين «باقة»..... ٥
فضائل ذكر الله تعالى في القرآن المجيد..... ٧
فضائل الذكر والذاكرين في السنة الشريفة..... ٩
فضائل حلق الذكر..... ١٢
من الذين يستحقون وصف «الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات»؟..... ١٦
في الصلاة ألوان العبودية الشاملة للقلب والعقل والبدن واللسان..... ١٧
معنى الورد..... ٢٠
الحياة أوراد..... ٢٣
الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام..... ٢٣
كل أفعال المريد وِرد..... ٢٤
«هو في ورد النوم»!..... ٢٥
الحث على المداومة على الأوراد..... ٢٦
من ثمرات المداومة على العمل الصالح لزوم الخيرات حتى تصير عادة..... ٢٦
نصوص من القرآن والسنة في الحث على المداومة على الأعمال الصالحة..... ٢٦
من داوم على عمل صالح ثم انقطع عنه لعذر كُتب له أجره..... ٢٩
داوم على الطاعة في شبابك يَدُمْ لك ثوابها في مشيبك..... ٣١

نهي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن قطع العمل الصالح..... ٣٣
صور من مداومة الصحابة والصالحين على العمل الصالح..... ٣٣
تنبيه يتعلق بعنصر «المداومة» المحمودة في العبادات..... ٣٧
بركات المداومة على الذكر وإدمانه..... ٣٩
الذكر النافع والمؤثر هو الذكر على الدوام مع حضور القلب..... ٣٩
كل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها، فقليلها مع المداومة أفضل..... ٣٩
الأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس «المداومة»..... ٣٩
ذكر ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾..... ٤١
من تساهل في قضاء ورده إذا فاته؛ هان عليه تضييعه في وقته..... ٤٣
يُكره هجر الأوراد بعد اعتيادها..... ٤٧
أعظم قاطع يشغلك عن الأوراد: التسكع في مواقع «التواصل الاجتماعي»..... ٤٩
مواقف تبين ضخامة مشكلة «الاستغراق» في هذه المواقع..... ٤٩
فرضت الظاهرة نفسها إلى حد أنها أفرزت «إدمان الإنترنت» و«قهر الإنترنت»... ٥٢
نصوص عن ابن الجوزي وابن القيم تحذِّر من الخوض في «الماجريات»..... ٥٢
أحوج الناس إلى حراسة أوقاتهم من الاختلاس الشبكي هم الحريصون على عمارة
أوقاتهم بالأوراد..... ٥٤
معنى الحزب..... ٥٦
حديث أوس بن حُذيفة في تحزيب القرآن..... ٥٧
أنواع تحزيب القرآن الكريم التي أرشد إليها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عبد الله بن عمرٍو
رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا..... ٦٠
١- الختم في أربعين يومًا..... ٦١
٢- الختم في شهر..... ٦٣
٣- الختم في عشرين يومًا..... ٦٥

٤- الختم في خمسة عشر يومًا..... ٦٦
٥- الختم في عشرة أيام..... ٦٧
٦- الختم في أسبوع..... ٦٨
٧- الختم في خمسة أيام..... ٦٩
٨- الختم في ثلاثة أيام..... ٧٠
صور أخرى من الختم..... ٧٢
حكم ختم القرآن الكريم في أقلَّ من ثلاث..... ٧٣
الجواب عما ورد عن السلف من الختم في أقل من ثلاث..... ٧٣
نقد أخبار فيها مبالغة منكرة في عدد مرات الختم..... ٧٦
المفاضلة بين القراءة القليلة بتدبر، وبين سرعة القراءة مع كثرتها..... ٧٧
التحزيب بالسور التامة أولى من التجزئة بالحروف..... ٨٠
دعوة إلى إعادة النظر في التحزيب الحالي للقرآن الكريم..... ٨٤
الحزب القرآني يختلف باختلاف الأشخاص..... ٩١
لا عذر لمن هجر تلاوة القرآن..... ٩٤
كيف تواظب على وردك القرآني؟..... ٩٥
كن واقعيًّا متوازنًا وأنت تختار حزبك..... ٩٧
تنبيهات تتعلق بتحزيب القرآن الكريم..... ١٠٠
الأول: لا يليق بمسلم أن يخلِّي يومه وليلته عن قراءة القرآن الكريم..... ١٠٠
الثاني: الاستماع للقرآن الكريم عبادة فاضلة، لكن لا تهجر قراءته بنفسك..... ١٠١
الثالث: لا يُنال ثواب القراءة بمجرد النظر دون تلفظ بحروفها..... ١٠٢

❋ الورد الشخصي ❋

شاع لفظا «الورد» و«الحزب» في الصدر الأول بالمعنى السني السلفي..... ١٠٤

وردك القرآني من خصائص هويتك..... ١٠٥
قد يأتي الدعاء بمعنى الورد..... ١٠٥
لا يرتبط الورد الشخصي بوقت ولا عدد محددين..... ١٠٦
يختص الورد الشخصي بالذكر المطلق دون المقيد..... ١٠٧
الأصل في الورد الشخصي التزام المأثور..... ١٠٧
ما الأذكار المطلقة؟..... ١٠٨
الورد الشخصي أمان من هجر الأذكار المطلقة التي أُمرنا بالإكثار منها..... ١٠٩
ورد الصلاة على رسول الله ﷺ..... ١١٠
ورد «الأدعية المطلقة»..... ١١٢
ورد الاستغفار..... ١١٢
الورد الشخصي مسألة تنظيمية بحتة..... ١١٣
ما يُراعى في الاجتماع على الذكر..... ١١٦
يجب اتباع الشرع في إطلاقه وتعيينه..... ١١٨
متى يسوغ تخصيص المطلق؟..... ١٢٠
١- يسوغ تخصيص المطلق متى خلا من المفسدة..... ١٢٠
٢- التزام طريقة مقيدة في العبادة يلتزمها جميع الناس من غير دليل غيرُ مشروع.... ١٢١
نصوص عن بعض العلماء تؤيد فكرة «الورد الشخصي»..... ١٢١
مقارنة بين الورد الشخصي وبين الأوراد المبتدعة..... ١٢٣
من أحوال السلف في «الورد الشخصي»..... ١٢٦
وِرد الدعاء للوالدين في حياتهما وبعد موتهما..... ١٣٨
شرط الدعاء للوالد بالرحمة أن يكون مسلمًا..... ١٤٠
كيف يبر المسلم والده الكافر في حياته؟..... ١٤٠
وِرد الدعاء للوالدين، وصيغته..... ١٤٢

مداومة السلف والصالحين على الدعاء للمشايخ والأهلين والذرية والإخوان في الله.... ١٤٤
الورد العلمي..... ١٤٧
إدمان بعض العلماء على قراءة كتب خاصة يختمونها باستمرار مثل الوِرد..... ١٤٧

❋ الأوراد بين السنة والبدعة ❋

الحث على الاتباع وذم الابتداع..... ١٥٦
لا ترتفع بدعة إلا على أنقاض سنة..... ١٥٧
الأدعية الراتبة توقيفية، فيُحظر الابتداع فيها..... ١٥٩
نصوص من السنة الشريفة تدل على وجوب المحافظة على ألفاظ الأذكار المأثورة وعدم جواز تبديل لفظة منها..... ١٥٩
نصوص العلماء في الحث على المأثور من الدعاء، وتجنب الأوراد المحدثة..... ١٦٣
ضوابط ما يحدثه الإنسان من دعاء..... ١٦٨
تعليق العلامة الألباني على خبر ابن مسعود في حِلق الذكر المحدثة..... ١٧١
مبنى العبادة على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع..... ١٧٢
يجب أن يبقى المباح مباحًا..... ١٧٤
اختراع الأوراد المقيدة بدعة إضافية..... ١٧٥
الأوراد الصوفية تتنوع..... ١٧٦
الصوفيون ليسوا سواءً..... ١٧٧
مراحل تطور الذكر الصوفي..... ١٧٨
مصادر تلقي الأوراد عند الصوفية..... ١٨٢
غلوهم في صلاة «جوهرة الكلام» المبتدعة..... ١٨٥
غلوهم في صلاة «الفاتح لما أُغلق» المبتدعة..... ١٨٦
الرد على مجازفات التجاني في شأن صلاة الفاتح..... ١٨٩

غلو الصوفية في «حزب البحر» للشاذلي..... ١٩٣
غلوهم في «دلائل الخيرات» وغيرها..... ١٩٤
نماذج من اعتداء الصوفية في أورادهم..... ١٩٦
١- الاستمداد والمراقبة..... ١٩٦
٢- وظيفة ابن مشيش وغيرها..... ١٩٧
٣- سؤال ما لا يليق كمنازل الأنبياء..... ١٩٧
٤- من أمثلة الاعتداء في «دلائل الخيرات»..... ١٩٨
٥- ومن اعتدائهم التوسل إلى الله تعالى بالمخلوقات..... ١٩٨
٦- التوسل المبتدع بالذوات والجاه..... ١٩٨
٧- ومن ذلك: التوسل بحروف الهجاء..... ١٩٩
٨- الإلحاد في أسماء الله الحسنى..... ١٩٩
٩- قد تشتمل الأوراد على ألفاظ ركيكة بعيدة عن الكلام الفصيح..... ٢٠١
١٠- وقد يوجد فيها طلاسم ورموز وصور، وألفاظ غريبة غامضة..... ٢٠١
١١- استعمالهم تراكيب غامضة ملغزة في حق رسول الله ﷺ والغلو في مدحه.... ٢٠٢

الفهارس:

فهرس أطراف الأحاديث..... ٢٠٤
فهرس الآثار والأقوال..... ٢١٢
فهرس الموضوعات..... ٢١٩

تم بحمد الله